

الجماعة

مجلة إسلامية



العدد
3

شهور

شوال

ذو القعدة

ذو الحجة

1399 هـ

المن
4.50
روما

اقرأ في هذا
المعد
● القومة الاسلامية
● شوكة الاسلام

النة
1

ملحوظة مهمة:

يجدر التذكير بأن سياق موضوعات الكتابة في مجلة الجماعة كان يفرض استحضار الواقع الدولي آنذاك والظروف الخاصة بالمسلمين، فتجد حضور الفلسفة الماركسية، والاحتلال السوفييتي لأفغانستان، وسجون جمال عبد الناصر في مصر، والنزاع الإيديولوجي والمسلح بين القطبين الكبيرين وقتذاك: الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، وانتصار الثورة الإيرانية وما شكلته من بريق تحرر للمستضعفين، ومناقشة شعارات القومية العربية والفكر الشيوعي، وعلمانية أتاتورك، ونفاق الحكام العرب، وتقاعس العلماء... الخ

لذلك نجد الإمام رحمه الله وفي سياق تحليل الأوضاع السياسية والاقتصادية والتعليق عليها، يثني على الحركات التحررية من الاستعمار الأجنبي (أفغانستان) أو من الاستبداد السياسي (إيران)، دون أن يمنعه ذلك من نقد التجربتين الإيرانية والأفغانية فيما بعد .

مجلة إسلامية

تصدر مؤقتاً كل ثلاثة أشهر

الجماعة

العدد الثالث

شهور شوال-ذو القعدة-ذو الحجة

1399هـ - 1979م

المدير المسؤول: عبد السلام ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

الدعوة والدولة

عبد السلام ياسين

من بين الدعوات المتدرجة المتتابعة التي حملها رسل الله إلى البشرية منذ آدم عليه السلام دعوات لم تتعد القرية الواحدة واستجابة الفرد والأفراد القلائل، ومنها ما اتسعت حتى استجاب لها قوم أو أقوام، ومنها ما بلغ أن مكن الله له في الأرض حتى تأسست دولة الإسلام على أسس الدعوة ومنها ما لم يبلغ. كان من الرسل أولو عزم ورحمة، وكان منهم أولو رحمة وحكمة وعزم، وكان منهم من قاد أمته جهادا لأعداء الإسلام، ومنهم من كان ملكا نبيا أدار أمور الدولة وسخر طاقتها لصالح الدعوة.

والدعوة المحمدية جمعت عموم الرسالة إلى شمولية الشريعة وتنفيذ الحكم في الأرض بوازع القوتين، قوة النداء والدعوة إلى الله خطاب الضمائر، وقوة اليد المسؤولة المدبرة الآمرة الناهية الرادعة متى كان الردع لازما.

دعوة إلى الله بدأت في مكة من شخص كريم على الله، دعا إلى ربه وجهر

بالحق وأوذي وصبر حتى اجتمع حوله ثلة من المؤمنين، كانوا النواة إلى بذرها الحق عز وجل بعد الهجرة ومكابدة آلام البتر الأسري الاجتماعي الحياتي في تربة بشرية مستعدة للتلقي وحماية الوافد العزيز تربة الأنصار رضي الله عن أحبته أجمعين.

وكانت دولة الإسلام وسلطة التنفيذ الإسلامية، كانت يد القوة مساعدة ومواتية ومنبثقة عن يد الرحمة الممتدة للضال والعاني والشقي بتيهانه وضياعه بالمودة والأخوة الباذلة الرفيقة، وازع القرآن خدمه وازع السلطان، الدولة كان يبرر وجودها ويدعمها ويعطيها الشرعية قيامها بوظيفتها في تنظيم مقتضيات التعايش اليومي على العدل، وتنظيم مقتضيات الأمن الاجتماعي على التكافل، وتنظيم أسباب الأمن من العدو المحيط المتربص بالتعبئة الدائمة لجند الله أشداء على الكفار رحماء بينهم.

رحمة كانت الدعوة إلى الله ترسم للمؤمن ولجماعة المؤمنين طريق طاعة الله والتقرب منه والتزكي من الخبائث لمناجاته والاستعداد للقاءه في دار البقاء.

حكمة كانت الدولة ترتب شؤون الأمن المادي والاجتماعي والجهادي لتوفر للمؤمن وسط جماعة المؤمنين ظروفًا مواتية لينشد الغاية التي من أجلها خلق، ألا وهي الاستعداد للدار الآخرة بالعمل الصالح، والتهيؤ لمعرفة الله بصفاء القلب، وإخلاص كل ذلك من شوائب النفس والطغيان بالعلم النافع علم الكتاب والسنة.

كان للدعوة رفق وغاية، وكان للدولة دستور هو شرع الله.

وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أئمة راشدون أرسوا القواعد، وساروا

على النهج إلى أن نبغت الفتنة بتكاثر الأموال وأسباب المتاع والتعصب على مسلمين قل فيهم الشهداء بالقسط من المؤمنين الأقوياء الذين تخرجوا من المدرسة المحمدية.

ثم كانت دولة الملك العاض كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام من رجال الدعوة الصادقون الذين جهروا بالحق عند السلطان العاض على مر العصور، وكان من الملوك المسلمين من سمع واتعظ واضطر للزوم الحدود ولو ظاهريا، ثم فسد الحكم على مدرجة التاريخ حتى بلغ الملك الجبرية الذي نعيشه اليوم.

صراعات طبقية، عصبية قبلية، حرب بين قوى الخير وقوى الشر، لسنا بصد فلسفة التاريخ المعقد بتصورات مقتضبة فما هذا مكانها، لكن هنا نحب أن ننظر إلى العلاقة كيف كانت وكيف أصبحت ينبغي أن تعود بين الحاكم والمحكوم، بين المبادئ والواقع، بين حملة رسالة الرحمة رجال الدعوة وحملة السيف الذين كانوا في الوضع الإسلامي السليم خداما للأمة منفيين للشر فأصبحوا كيانا قائما بذاته متنطعين على الدين حاكمين بأمرهم لا بأمر الله.

الدولة في واقعنا المر الكئيب مركب أجهزة يعلوها ويستخدمها ذوو السلطان لأهداف وغايات منفصلة تماما عن أهداف وغايات الدعوة، ومتى قام رجال الدعوة يؤدون مهمتهم ويجاهدون ليعود الأمر إلى نصابه بعد أن انقلب رأسا على عقب أصبحوا غرماء للدولة وجردوا من حقهم الإلهي بحق الدولة في صيانة نفسها كإدارة مستقلة متمردة على الله، وهكذا لوحق الدعاة وشردوا وقتلوا تقتيلا على مر عصور العجز والجبرية.

في مصر وليبيا بالأمس قتل الدعاة، وفي سوريا اليوم تنصب المشانق لتصفية الدعاة بعد المذبحة الشيطانية الدموية التي دبرتها أيدي العدو لتلطخ سمعة الإسلاميين وتخلق الذريعة للقضاء عليهم.

وكان الإسلاميين أنسب هدف لتهم الشراسة والغباوة والصبيانية الفكرية، التي يتسم بها مخطط المذابح السافرة للإنسانية البدائية !

كان الإسلاميين وهم الغرباء العزل بين قومهم المضطربين تحت سياط الحكم الفردي والغزو الفكري والدوائية المشجعة من لدن أعداء الإسلام الداخلين والخارجيين الفئة الوحيدة التي لا تعرف من أساليب العمل السياسي ومقاومة التعسف إلا هذه الاغتيالات والمجازر تتخصص فيها وتعتمدها أصلا من أصولها !

كلا بل هي المؤامرة ضد الإسلام، والقومية اللادينية يد التنفيذ !

كلا بل هي الأيدي الماكرة المجهزة المنظمة المنبثة في أرجاء العالم لتطويق الحركة الإسلامية وضربها وإبادتها.

كانت القومية الإسلامية في إيران إيذانا بمرض السعار الذي أصاب الأمة الجاهلية بقيادة الصهيونية وحلفائها، وتنصب حبال المشانق للإسلاميين من جديد في هذه الفترة العصبية من تاريخنا التي كثرت فيها التحديات لوجودنا كأمة وتشابكت وتعاضمت، فمن يستفيد بإبادة الطاقات الحية الوحيدة، طاقات الإسلام، في هذه الظروف؟

إن القومية اللابنيوية هي ألد أعداء الإسلام من داخل الحصن فهي

تستفيد من إبادة التنظيمات الإسلامية، وهي منافسها الجدي على قيادة الشعب المسلم.

وإن الصهاينة المحتلين ممن يستفيد مباشرة من ضرب القوى الإسلامية ببلاد العرب عليهم يحيطون المسلمين العجم بإيران بفراغ عقدي يعزلون به قوى العمق الإسلامي بعضها عن بعض لئتم تخريب الإسلام في نفوس الأمة العربية المسلمة وعقولها، وتحل بدله العقيدة العرقية القومية. عرب ضد عجم، قومية ضد إسلام! ويفضل الصهاينة أن يواجهوا الدول القومية، وهي نمور من ورق وتركيبات فوقية لا أساس لها، على أن يواجهوا جبهة إسلامية تفيض حيوية وإيمانا وتحفزا لوحدة المسلمين وطرح خلافات المذهب ونوازع العرق وكل رواسب الفتنة.

تستفيد دول الجاهلية حليفة الصهيونية من بتر عناصر الحياة في الأمة العربية الإسلامية بعد عجزها عن مقاومة المد الإسلامي بإيران وانزمامها أمام القومة المنتصرة، مصالح مهددة وبتروول العرب يصبح سلاحا ماضيا لو أمسك بالزمام مؤمنون أعزة بالله كما فعل إخوانهم العجم بإيران إذن فالوسيلة قطع دابر الإسلاميين.

كانت الجبرية الفرعونية على عهد العبد الخاسر تتسلح بفلسفة القومية لتضليل الأمة عن دينها، ولتسخر سلاح النار والحديد والنكال الجهني ضد الدعاة.

واليوم تلتوي تلك الجبرية نفسها إلى فلسفة «الانفتاح» والصلح المهين مع أحيث عدو لتبرير اضطهاد الدعاة.

وفي خط الجبرية يبرز وجه لئيم للفلسفة القومية التي تتبناها

الطوائف المعادية للإسلام، ويكشر العدو الجاثم على صدور الأمة عن أنياب السم، يتوج سلسلة من مطاردة الدعاة بالمسرحية الرهيبة في حلب ليصفو الجو للقومية الحاقدة على الإسلام بإبادة المستضعفين الوارثين بحول الله ولو كره الكافرون.

وفي المغرب كانت مهزلة محاكمة الإسلاميين، بدأت لنتتهي وانتهت من حيث كان البدء.

كنا ننتظر أن تلد عقول الذين يستفيدون من طمس الواقع وتعمية الحقائق أن يخترعوا شيئاً أذكى من دعوى سرقة وثائق من ملفات رسمية، لكن تأجيل المحاكمة كان هدفاً ملحا في ظروفنا، وأية تليفقة لا بأس بها ولو كانت بادية العوار.

يقول الفكر الملقق: لا بد من إدانة المتهمين كيفما كان الأمر، ومن هنا تجند الصحافة أقلامها لتنتع الشيوعيين الذين حادوا الله ورسوله، وتوعدوا بهدم المساجد وبناء المعامل مكانها بأوصاف الشهداء والمجاهدين، وفي السياق تثلب الصحافة الحاقدة المتهمين الإسلاميين بأنهم مجرمون، تؤلب بتهمها المجانية رأي الشعب على رجال برءاء ما دامت العدالة لم تقل كلمتها.

فبأي حق تتحمل الحكومة حملات التشهير ضد مواطنين لا يزالون قيد البحث؟ وحق المواطنة هو أبسط الحقوق وأكثرها قداسة في عرف القانون الوضعي الذي يسود بلادنا، أما حق المؤمن وكرامة المؤمن وأمن المؤمن فمقولات نظرهما على الدولة حين نصحح القواعد بين الدعوة والدولة، حين نصبح أمة لها قانون ولها عقيدة ولها مبادئ وحرمان.

ها هم الدعاة ولهم الحق الإلهي الممنوح لكل مؤمن تقي أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ويسهروا على تطبيق شرع الله ويأخذوا على يد الحاكم إن خان الأمانة، أصبحوا في قفص الاتهام، في سوريا نكال، وفي المغرب يطلق صوت الملفقين ليثلبوا الدعاة ويؤلبوا عليهم الرأي العام بعد أن قضى الدعاة ليالي وأياما غير آمنين ولا محترمين في سجن الاتهام.

المشكلة الأساسية هي مكان الدعاة من الوجود السياسي، وحقهم في قيادة الشعب والتعبير عن إرادته.

بل المشكلة هي واجب الدعاة في قيادة الشعب وقعود المسلمين عن مناصرتهم.

إن وعي كثير من رجال الدعوة لا يتعدى الإسلام الفردي، فمن ثم تبذل جهودهم في محاربة المسلمين العائدين إلى ربهم المقصرين عن جهل في بعض أمرهم.

وآخرون من رجال الدعوة تتنازعهم دواعي الغيرة على محارم الله المنتهكة ودواعي التقية والمسالمة.

وآخرون لا يتضح أمام أعينهم سبيل الله ليسلكوه بجهد منظم فتغطي عنهم الحقائق كلمات السياسة، ومصطلحات العمل السياسي المشترك فيها بين أهل الإسلام وأهل الإلحاد والنفاق.

الدعوة الفردية وظيفية وورثة الأنبياء، لكنها إن لم تفض إلى إنشاء جماعة المسلمين من بعد انحلال وإقامة الدولة الإسلامية على دعائم الحق والعدل لا تقتفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بنى رجالا مؤمنين وبنى جماعة ودولة.

الدول المنصوبة على رأس الشعوب الإسلامية المتفرقة تناصب الدعاة
عداوة وتبغيهم شراً، وبذلك تعمق الهوة التي تفصلها عن الشعوب المسلمة.

حول السلطة تتنازع الأحزاب الزمنية وتتسابق لمقاعد الحكم «النجبة»
المثقفة تتعاقب على كرسي التنفيذ أو تتأثله ميراثاً دائماً بجبر الحزب الواحد
القومي.

والإرادة الإسلامية مطرودة من الميدان متخلفة بقعود قادتها، دول تتحاور
«النجبة» المثقفة فيها على مبادئ وضعية سموها ديمقراطية وتقديمية وقومية،
وممثلو الأمة بالحق الإلهي توجه إليهم يد البطش نكر البلاء وتسلب عليهم
العذاب.

فهل على الدعاة واجب غير تربية الأفراد، وكيف يقوم رجال الدعوة
لأخذ حقهم السليب، أم كيف يثبتون وجودهم على الساحة ويفرضون الحل
الإسلامي؟

إن الأمر أكثر جدية من الاستمرار في المطالبة العاجزة والنوم على كلوم
الإسلاميين، لو تألف الدعاة حتى يرتفعوا إلى مستوى المسؤولية لكان لهم
شأن غير ما نرى، لو سلكوا منهاج السنة الكاملة بدل الخصومة على السنن
والخلافيات لبلغوا ما بلغه إخوتهم بإيران.

في إيران تفاقم الأمر بين الدولة والدعوة، وبلغت الهوة بين الحكام
والمحكومين مدى سحيقا لما نشأ في ظل الحكم الفردي المتأله طبقة مترفة
ابتزت الخيرات واستأثرت بالأرزاق واقتسمت أسلاب الشعب مع المستعمر
المستغل، وكل حكم فردي سائر إلى تلك النهاية المنطقية.

نهاية منطقية أن يخر بناء لا سند له ولا فائدة لكن فعل الدعاة المنبعثين المصممين على الجهاد المؤهلين له بوحدة العزيمة والإيمان والفكر هو العنصر الحاسم.

منذ طغت الدولة على الدعوة في عهود الملك العاض والملك الجبري وسخرت ديدان القراء ليغنوا أناشيد المجد عند أقدام الظالمين انمحت معالم النظام الإسلامي وشرعية الإسلام في الحكم عن بصر الشعوب الإسلامية، وزين التمويه الرسمي الواقع المفتون، فسار الناس بعضهم يموج في بعض على غير هدى، والمصير تضخم الفتنة حتى يبلغ الظلم الطبقي والفساد الخلقى والتعسف السلطوي الحجم الانفجاري.

في إيران بلغ الفساد مداه ولم يكن البديل هو العنصر المنظم الحي في كل بلادنا الإسلامية بحياة الكفر المبدي وحياة المذهبية الشيوعية لأن الدعاة هناك توحدوا وضموا الصف ونهضوا نهضة الرجال.

وفي المقال الرئيسي من هذا العدد نقرأ عن ذلك النداء الذي توحدت عليه كلمة إخواننا علماء إيران، نترك لصغار الأحلام الذين يؤججون في تبين الخلاف المذهبي البارد مهمة الأرضية السخيفة التي تحاول نقض بناء شامخ بالإنجازات الجهادية الفذة، ونتأمل مع الإمام الخميني لم وكيف يجب على الدعاة أن يؤدوا واجبهم في حمل رسالة الله ويبدلوا في سبيل ذلك النفس والنفس.

في إيران ترجع الأمور إلى نصابها بعد جهاد منظم مصمم أحيى الشعب وأيقظه ووعاه بالحق وهيمنته، بالعدل وسيلة للاستقرار، والموت في سبيل الله ثمنا لينتصر الحق والعدل.

والدعوة مفتوحة قبل هذا ومعها وبعده لحكام المسلمين وعلماء المسلمين أن يسعى كل منه إن استطاع أن يعيد العلاقة بين الدعوة والدولة إلى وضعها الطبيعي قبل أن يفوت وقت الإصلاح الترميمي ويحل أوان القومة الإسلامية بعد القطيعة التامة، والأنظمة التي تدفع إلى القطيعة بإبادة الدعاة وإهانتهم إنما تحفز بظلفها، والله غالب على أمره.

أحس صانعو الرأي العام بهذا البلد، لا ندري من أصحاب أي اتجاه أن هذه المجلة تزامهم وأن صوت الحق يجب أن يسكت ليعلو نداء الباطل، وهكذا اتصلوا هاتفيا بصاحب المطبعة وهددوه وزجروه وأسمعوه الشتائم والكلام الساقط ليكف عن طبع كلمتنا.

أصوات من الظلام تعبر عن ارتفاع حمى البغضاء للإسلام في صدور الحانقين على الدين الكافرين بالله ورسوله والمنافقين.

ثم أصوات أخرى من تحت ظلال الفكر العائم الذي غطته الدعايات القومية تطلب إلينا أن نصطنع موقفا ملاينا تجاه الأصنام القومية مثل أمثال العبد الخاسر، لهؤلاء نرجع الذكرى بما فعله بطل القومية بالمسلمين في مصر وما تفعله القومية اليوم بهم، ونطلب إليهم أن يقرأوا قليلا من شهادات المؤمنين المعذبين في سجون الطاغية القومي لعلمهم يتمثلون بما لديهم من شعور إنساني مشترك بينهم وبيننا، أية فظاعة كانت ترتكب في حق البشرية على يد من أخزاه الله خزيا لا مثيل له في تاريخنا أيام خامس حزيران وما بعده.

لا تقرأوا تاريخ القومية الناصرية المكذوب وحده، لا أقل من أن تسمعوا أنين المؤمنين الذين فتنهم الطاغوت وعذبهم، وسواء شعرتهم بالإهانة

التي يشعر بها كل إنسان كريم تضامنا مع من لحقت بهم إهانة هتك الأعراس وتمزيق الإسلام، وتقتيل الذرية وتحريض الكلاب الجائعة أم لم تشعرُوا فإن موقفنا واضح لا غبار عليه، نحن مع الله ضد أعداء الله، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾ (سورة البروج: 10).

يبقى تقييمكم لمنجزات الناصرية، ولكم كامل الحرية أن تبقوا في حكمكم السطحي تحسبون جحجحة البطل الذي هزمته طليعة صهيون في ست ساعات طحنا وترفضون أن تروا الواقع كما هو، هذا الواقع هو أن السياسة «التقدمية» التي اتبعها بطلكم آلت بمصر والعالم العربي إلى ما نراه اليوم، لم تراجع خلفه حتى ركع تحت أقدام العدو؟ لم خربت مصر اقتصادها ومعنوياتها؟ نفس الشعب الذي أسكرته الدعاية القومية اللاعبة بالقيم الإسلامية حتى خرج للشارع بعد هزيمة حزيران هو الشعب الذي أذهلته الدعاية التراجعية حتى صدق أن الحل لمشاكله يكمن في إضافة المذلة إلى المجاعة، لكم الحرية في الاختيار أي بطليكم يمثل الفسولة وسوء التدبير والعدوان على الشعب ودينه.

ثم إننا نعذرکم عندما تعمى عنكم الأمور حتى لا تتبينون وجهها للحقائق، ذلك أن صنع الرأي العام، خاصة بهذا البلد، تتولاه أيد صنيعة للثقافة الجاهلية، وأيد تنتمي للجهات الرسمية والحزبية، وآلاف مؤلفة من صحف الخواجات القوميين توزع كل أسبوع.

وحظنا نحن الإسلاميين المسلمين وجهنا لله وحده لا شريك له لا نعبد صنما ولا نقدرس وثنا صحيفتان محاصرتان هما «النور» و«النصيحة»، ثم هذه المجلة المهتدة السائرة بإذن الله إلى هدى ترسمه عناية الله في

تصميمها أن نقف للحق بحيث نغيظ الكفار وبحيث نقول القول البليغ في
أنفس المنافقين.

أيها المؤمنون، إنكم بحاجة لجريدة يومية تتعهد كل صباح بذور الإيمان
في قلوبكم، وتثبت لكم وجودا على صعيد الحياة السياسية، صحيفة «النور»
أقدم صوت بهذا البلد، وهي بحاجة لأقلامكم حتى تستغني عن أقلام غير
ملتزمة بحاجة لدرهمكم حتى تحافظ على حرمتها، محتاجة لتشجيعكم ولست
أدري رأي صاحبها وإخوته، لكنني أحس بانتماء طبيعي لكل حركة وكل جهد
وكل كلمة تنطلق من لا إله إلا الله محمد رسول الله وتذب عن موكب الإيمان
وتنشطه وتوسع له.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

قراءات وتأملات

القومة الإسلامية

مصير المسلمين في العالم رهن بوعيهم للحظة الحرجة التي يمر بها تاريخهم، اختلاف الذهنيات والأفكار وتعدد الواقع بمشاكله الهائلة وحزازات موروثه من ماضي الفتنة وحركية عاطفية جامحة بحوافز القومية والمطالبات الإقليمية تحجب عن وعي المسلمين خطورة الموقف وضرورة تجاوز الأفكار الضيقة والعواطف الانفعالية لمجرد الإفلات من المؤامرات التي تبنت لهذه الأمة ثم الثبات على أرضية صلبة للتفاهم يؤدي إلى استقلال المسلمين وعزة المسلمين ووحدة المسلمين.

في إيران انتصرت القومة الإسلامية في جولتها الأولى، ونجحت في إسقاط نظام الفساد وتبديد قواه الداخلية وروافده الخارجية، وهي تعاني أشد المعاناة في محاولتها القضاء على مخلفات الفتنة وتسوية ما كان أعوج وتهدئة ما هو نائر وتأليف ما هو متنافر، وإن من أشد الأمور شماسا على من يزاول السلطة في ظروف الفوران التي تعقب ثورة مثل التي أدهشت العالم في إيران باستمرارها الطويل، وعنف السلطان البائد، ووحشية قمعه مسك الأزمة وجمعها وتملكها، أحقاد تراكمت تطلب انتقاما، واستغلال مضي لخيرات البلاد خلف بؤسا لا يصلح اقتصاد منفوخ لعلاجه، وإهانة مزمنة لكرامة الشعب ترتب عنها انفجار لا يزال بعد شهور يلقي حممه.

هذا إلى نهوض الأقليات القومية مطالبة صاحبة بحقوق غمطها العهد البائد ولا تستطيع السلطة الإسلامية وهي لا تزال مبددة متعددة الرؤوس ضمائها.

نظام انفرط، ونظام في طور النكوس من خلال الغليان الطبيعي حتى تلتئم الاتجاهات في سكة واحدة، وترجع الأفكار والإرادات مدارها حول المثل الأعلى الذي يختلج في نفوس الشعب الإسلامي، مثل الاستقلال والعدل والكرامة.

اتقدت شرارة الحقد القومي بإيران، وجدت الأقليات المستعبدة بالأمس متنفسا، وقامت المظاهرات، الأكراد ثم التركمان ثم العرب، ذهنية القومية في السقف الأعلى الذي تسمو إليه الشعوب إذ كان قادتها لا يتجاوزون مستوى الانفعال إلى مستوى المبادئ السامية، وذهنية القومية هي الطاقة البدائية التي تنبعث من الشعوب التي طال عليها ليل الظلم لترد الفعل بعنف.

وهل تعني القومة الإسلامية إلا محو تلك الذهنية وذلك الأسلوب القوميون بمحو أسباب النعمة، برفع الظلم، بإنصاف المستعبد حتى تحل الأخوة الإسلامية الجامعة مكان النفور القومي في العقول والقلوب والواقع؟

الإمام الخميني ومن حوله من العلماء يؤكدون أن الخليج ليس فارسيا ولا عربيا بل هو إسلامي، ويؤكدون أن شعوب الأقليات القومية ما هي إلا شعوب يوحدتها الإسلام ويجب أن تمحى من بينها فوارق نشأت عن تاريخ الحيف الشعبي.

لكن النعرة القومية نفخ فيها نافخ، وسرى في علاقات بعض الدول العربية بإيران تيار النزاع، سارعت الأنظمة العربية القومية، بانفعالها المعهود، إلى رش الزيت على النار بدعمها لمطالبة العرب داخل إيران بنزعة

أخوة الدم، وسارعت إلى بعث العنف بتسريب السلاح، لا غبار على مطالبة العرب في عربستان بعدل ومساواة حرموهما على عهد الشاه المخلوع الذي صير العرب خدما وخولا، وأبعدهم عن مراكز النفوذ وضيق عليهم في المسكن والرزق والمدرسة، ومجرد إمكان التظاهر والمطالبة شهادة بأن عهدا للحرية قد انفتح، ولكن حمى القومية العربية أبت إلا أن تساهم في تعقيد الوضع ليزيدوا في مشاكل قادة مسلمين ما كان أغناهم عن مواجهة كيد «الأخوة» العرب وهم غرض كل رام من الأعداء المحيطين المتربصين.

قائد القومة الإسلامية يعي بحكمة المؤمن، ويعلن أن الظروف التي تتجاوزها البلد صعبة وإن تشتت السلطة لابد أن ينتج عنه اضطراب يقتضي معه رد الأمور لنصابها زمنا وجهودا، إنه شعب أهين طويلا وعذب طويلا فلما انفرج عنه الكابوس انطلق يعبر عن نفسه بلا ضابط، وإنه لكثير من الخير أن تبقى آلة الدولة قائمة ولو على عرج، وأن تستأنف عجلة الاقتصاد حركتها ولو على مهل، وأن يستتب الأمن في الشارع رغم تعدد السلطة وتنافس المنظمات.

الخميني يفكر بذهنية المؤمنين، يغالب حركية الواقع الهائج يستمهل، وفي الطرف الآخر من وراء الحدود قومية متأججة لا يكية تضرب في نفس الاتجاه الذي نصبت عليه منجنيقات الحرب المتعددة الأشكال والأسلحة التي أعلنتها إيران الحرة المسلمة قوى الاستعمار والصهيونية، القومية اللايكية كانت ولا تزال أعدى عدو لوحدة المسلمين وحياة المسلمين، ومن يتدبر الفخاخ والتمثيلات المأساوية التي توضع لتفتح ذرائع الفتك بالمؤمنين في سوريا وعبر سوريا من بلاد المسلمين البئسة بحكامها القومييين وغيرهم من المنافقين يدرك مكان الخطر ويعرف من هم أعداء الإسلام ومن صنائعهم من بني جلدتنا.

منطق السياسة وضرورات الحرب مع الصهاينة كانت تقتضي قبل الاعترافات الإسلامية أن يرحب العرب بالقومة الإسلامية في إيران. انطلق نداء حار صادق من القيادة الإسلامية لتوحيد الصف ضد الصهاينة، وامتدت يد الأخوة للعرب من إخوتهم القائمين، لكن الاعترافات الفجة والتعصب القصير النظر منعا القومية العربية من تجاوز سياج فكرها الضيق ونواياها المنحازة ضد الإسلام لتكون في مستوى الأحداث.

هذه القومية تدعي أنها تقدمية وأنها تحررية، فلما برز الإسلام بوجه مشرق وسبق القومية على حداثة عهده بالسلطان في ميادين التدابير السياسية والاقتصادية والاجتماعية المخططة لإقامة العدل والشورى والكفاية ارتدت القومية العربية على مدرجتها إلى الانغلاق على الذات المريضة وصوبت سهامها للقومة الإسلامية، تفرغت لإبادة الإسلاميين ببلاد العرب.

خاف العرب والشرق الجاهليين من حركة إيران، كما خافت الأنظمة الموالية للاستعمار. والآن دخل الرعب نفوس القومية التقدمية التحررية في زعمها لما تعرف أن الإسلام حق يفضح الباطل الذي تعتمده الإيديولوجية القومية أساسا لها في الفكر والممارسة والأهداف.

واقع الاضطراب في إيران بعد الزلزال يناسب اسم «ثورة». النفوس ثائرة والأمور تمور. وإنما آثرنا استعمال كلمة «قومة» لما يؤول إليه الحال عندما تنتهي فترة الانتقال وتنظم السلطة لتقوم على الشورى، والاقتصاد ليقوم على الكفاية والقوة والشعب ليسوده العدل. كلمة قام في القرآن توحى بمعاني القوة والاستقامة على الشرع والمسؤولية الإيمانية والثبات على الجهاد. القيام لله بالقسط مقولة قرآنية تعني نهوض المؤمنين لإقامة دين الله بقوة وثبات وعدل. فمن هنا تختلف القومة الإسلامية عن الثورة في أن هذه

تقوم على العنف الطبقي من مبادئ إيديولوجية تقررها عقول البشر، وأن تلك لها منابع من هممة المؤمنين حين يستيقظون إلى واجبهم الديني ليقوموا ما اعوج على شريعة الله، القومة والثورة تشتركان في نشدان العدل الاجتماعي واتخاذ أسبابه، لكن الثورة حركة أرضية زمنية محض لا تعرف الغاية التي تسير إليها القومة لله.

﴿قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة، 238) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ (سورة سبأ، 46) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ (سورة المائدة، 8)، هذه الأوامر الإلهية تصدق على المؤمن الفرد في واجباته العبادية كما تصدق على المؤمنين جماعة من حيث مسؤوليتهم عن إقامة الدولة الإسلامية السائرة في ركاب الدعوة لغاية هي الله.

ومن الإسلام الفردي انطلق قائد القومة الإسلامية بإيران ليحرر العقول من الفهم الضيق للدين، والهمم من الركود والخنوع لواقع الفتنة.

فلكي نعرف واجب كل مؤمن، وواجب المؤمنين جماعة ومسؤوليتهم عن إقامة الأمر الإسلامي والسيادة الإسلامية نتصفح كتابا لرجل الساعة على الساحة الإسلامية الإمام الخميني، كتابه بعنوان «الحكومة الإسلامية» هذا الكتاب يضم مجموعة محاضرات ألقاها عالم المسلمين في طلاب علوم الدين بالنجف منذ عشر سنوات، ويفيدنا أن نعرف خط النظر الذي تسير فيه الحركة الإسلامية بإيران لفهم التكررات والتموجات والتصالحات التي تتم بين النظر المسبق والواقع الموروث الدائب في الحركة، يفيدنا أن نطلع على الوجهة النظرية التي يصمد نحوها قائد القومة ويعالج لبلوغ غايتها سكون الراكد ومقاومة المعادي وميلان المخالف، يفيدنا أن نعرف الفكر الذي ينير طريق هذه الإرادة القوية التي تحاول خرق أرض الواقع التي اصطدمت بها، كيف نشأت هذه الإرادة وعلى أية مبادئ، وبأي نداء سرت روح الجهاد في شعب بأكمله فخرج للشارع يعرض الصدور لمدافع الطاغوت، ويدافع باليد العرية دباباته؟

عرفت إيران منذ ست وعشرين سنة ثورة مصدق. كانت الوطنية التحريرية هي المبدأ والنداء الذي حرك فئات من الشعب الإيراني للتمرد على الحكم الفردي المستند إلى العدو الخارجي المستغل، وتدخلت أمريكا فأعادت حاكمها إلى القيادة وفرضته وعززته حتى ظنت وظن أنه في عز المنعة بعد أن نشر الرعب وحكم في الأموال والرقاب حاشيته وأجهزته الوحشية، وظن الناس أن استقرار الإمبراطور الدوري في أتم الأمن.

وانبعث صوت رجل تدفعه الغيرة على محارم الله ويوتر إرادته تصميم لا ينتهي على مجاهدة الباطل بالحق، وبعد ست عشرة سنة من الأذان المستمر بالجهاد، وبعد أن جمع نداء الحق جهود المؤمنين ونظمها انبعث كل فئات الشعب في هبة واحدة، سلمت الأحزاب السياسية والتنظيمات غير الإسلامية قيادها للريادة الإسلامية لما أحست أن القومة الجهادية أعمق وأوسع من كل ما عرف من الثورات، لم يكن الأمر مقتصرًا على طليعة ثورية، تقود طبقة ضد طبقة بل وصل الوعي واليقظة إلى عمق الفلاح والعامل والطالب والأستاذ والغني والفقير، كانت الشروط الموضوعية المتمثلة في تفاقم الحيف الطبقي، وعموم السخط على الظلم والقمع، وتجمع طوائف الواردين على المدينة العاطلين، وتقهر الفلاحة واستفزاز المترفين للشعور الإسلامي أرضية صالحة لزراع حافز الغيرة الإسلامية في تربة الغضب العام.

آدمية

توجه نداء الإمام المجاهد للجذور الآدمية في كل إنسان يذكي الغضب على الإهانة والتعسف ويذكر بحق الإنسان في الكرامة وواجبه في الدفاع عنها، قال (ص 22): «هم يريدون أن لا نرتفع إلى مستوى الآدميين لأنهم يخافون الآدميين، وإذا وجدوا في مكان ما آدميا فهم يرهبونه، لأن هذا الآدمي تقدمي متطور، يستطيع التأثير في الناس وفي المجتمع تأثيرا يهدم

جميع ما بناه العدو ويزلزل الأرض تحت عروش الظلم والخيانة والعمالة، ولهذا فإنهم إن وجدوا آدميين في وقت من الأوقات ائتمروا به ليقتلوه أو يشتهوه أو يخرجه، أو يتهمونه بأنه سياسي، هذا العالم سياسي ! ولكن ألم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سياسياً؟ هل في ذلك عيب؟ كل ذلك يقوله عمال العدو وعملاؤه ليعيدوكم عن السياسة وعن التدخل في شؤون المجتمع ويمنعونكم من مكافحة سلطات الخيانة والجور، ليصفو لهم الجو فيعملوا ما شاءوا وينهبوا ما شاءوا من غير معارض أو عائق».

مسؤولية العلماء

يدور كتاب «الحكومة الإسلامية» حول مفهوم محوري هو في اصطلاح الخميني «ولاية الفقيه» أي مسؤولية الدعاة عن تقويم الدولة ومراقبتها ومناهضتها إن زاغت لإقامة الدولة الإسلامية الرشيدة.

النداء الموجه إلى الجذور الأدمية المشتركة بين الناس جميعاً على مستوى المروءات عام لكل من مسهم الجور والإهانة، لكن النداء الموجه للغيرة الإسلامية التي كانت راکدة حتى عند أغلبية رجال الدعوة القاعدين عن الجهاد بتعلة تفرغهم للدور التقليدي الذي سجنهم فيه انزواء القرون، سنرى كيف يعير الخميني العلماء الخاملين ومن يغرونهم بأن مسؤوليتهم لا تتعدى الاشتغال بأحكام الحيض والنفاس، وسنرى كيف يندد بديدان القراء علماء السوء خدام الطاغوت، نفس قوي يلتهب غضباً، وهمة عالية ما لبثت أن أيقظت الهمم حتى كان ما كان.

يقول (ص 138): «المؤسسات الاستعمارية كلها وسوست في صدور الناس أن الدين لا يلتقي مع السياسة، الروحانية ليس عليها أو ليس لها أن تتدخل في الشؤون الاجتماعية، ليس من حق الفقهاء أن يعملوا لتقرير مصير الأمة، ومن المؤسف جداً أن البعض منا صدق بتلك الأباطيل».

وقد تحقق بهذا التصديق أكبر أمل كانت تحلم به نفوس المستعمرين .

انظروا الهيآت الدينية فستجدون آثار ونتائج تلك الدعايات واضحة، فهناك البطالون من عديمي الهمم، وهناك الكسالى الذين يكتفون بالدعاء والثناء والتحدث في بعض المسائل الشرعية وكأنهم لم يخلقوا غير ذلك، ومما يمكن رؤيته في هذا الجو من تلك الآثار هو النغم التالي: الكلام يتنافى ومقام العالم. المجتهد لا يليق به أن يتكلم ويحسن به أن يكثر الصمت ويكتفي بقول لا إله إلا الله أو يكتفي باليسير جدا من الكلام...

الأفكار البلهاء التي يبثها الأعداء مما ذكرنا بعضها قبل قليل يوجد فينا من يومن بها، وفي هذا إدامة للاستعمار والنفوذ الأجنبي، هؤلاء جماعة من البلهاء يدعون بالتقدميين (هم المتصوفة الخاملون الخرافيون)، وهم ليسوا بمقدسين، بل متقدسون يتكلفون التقديس، علينا أن نصلحهم وأن نحدد موقفنا منهم لأن هؤلاء يمنعوننا من الإصلاح والتقدم والنهوض، (قارن نية الإصلاح وما تتطلبه من هداية وتعليم ورفق مع الحروب المذهبية التي لا تزال أسلوب الحوار عند علمائنا).

ويقول (ص 107): «إن تقاعس العلماء وسكوتهم أشد ضررا من تقاعس من سواهم، فالمخالفة أو المعصية الصادرة عن شخص عادي لا تتجاوز ضررها في الغالب نفسه بينما يكون فيما يصدر عن العالم من مخالفة ومعصية أو سكوت على الظلم ضرر عظيم على الإسلام كله، وإذا عمل بواجبه على الوجه الأكمل وتكلم حيث ينبغي التكلم، فإن نفع ذلك يعود على الإسلام كله أيضا.

ويقول (ص 132): «قيادة الأمة إلى الصلاح ومعرفة الإسلام على وجهة تستلزم صلاح أهل العلم وحملة الشريعة، بمعنى ضرورة تكامل نشاطهم التعليمي والاعتماد على النفس والثقة بها واجتناب الكسل والوهن

والضعف والنكول، ومحاولة محو آثار ما ينشر في النفوس من أباطيل وتهذيب الأفكار المتحجرة المنفرة في صوت البعض منا، وطردها القصور الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم من صفوفنا وإبعادهم عن زينا وتعريتهم وفضح «أعمالهم».

ويقول (ص 141): «وهذه المراكز الدينية التي تمارس فيها عملية التدريس والتعليم الديني والزعامة الدينية، وهي موطن الفقهاء العدول ومهبط الطلبة والأساتذة من شتى البلاد، هي معدن أمناء الله وخلفاء الرسل. ومن يكون أمين الله في عبادته وبلاده لا يطمع في شيء من فضول الحياة، ولا يطيع للظالمين أمراء، ولا يركي لهم فضلا، ولا يعقد لهم عقدة، ولا يبني معهم بناء، وأنتم تعلمون ما جناه على الإسلام فقهاء السلاطين وتعلمون ما لتعامل الفقيه مع الجائرين من تأثير في الناس، فانضواء الفقيه تحت لوائهم يكون أشد ضررا على الإسلام من انضواء أي فرد عادي آخر».

انظر إلى أي قمة سابقة ترفع همة هذا الشيخ الجليل مطامح إخوته علماء الشريعة وطلبتها وأساتذتها، إنهم أمناء الله وخلفاء الرسل على البلاد والعباد، وما قامت الحركة المزججة تحطم الطاغوت إلا استجابة لهذا النداء لدى ذكر العلماء لقادة الأمة الطبيعيين بكرامتهم ومسؤوليتهم فنهضوا ونهض معهم الشعب، يقظة للروحانية العليا ووعي فكري يستوعب الدور القيادي ومقتضياته الجهادية.

يقول (ص 142): «إذا كان الإسلام كله في خطر، فليس في ذلك متسع للثقية والسكوت... إذا كانت ظروف الثقية تلزم أحدا منا بالدخول في ركب السلاطين فهناك يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله...»

ويقول (ص 143): «إنها الكلام فيمن دعت بطنته واستهوته الحياة

الدنيا، وباع آخرته بدنيا غيره وزين له الشيطان سوء عمله، فعمل في صفوف الخونة من الحاكمين وأيدهم وأزرهم وسار من ورائهم والله على ما يعمل ويقول شهيد.

هؤلاء ليسوا بفقهاء، وقسم منهم قد ألبستهم دوائر الأمن والاستخبارات العمائم لكي يدعو الله للسلطان ويستنزوا عليه بركاته ورحماته...

هؤلاء يجب فضحهم لأنهم أعداء الإسلام. يجب على المجتمع نبذهم ففي نبذهم واحتقارهم نصر للإسلام ولقضية المسلمين، يجب على شبابنا وأبنائنا انتزاع عمائم هؤلاء من فوق رؤوسهم، أين شبابنا في إيران؟ هل ماتوا أم غفلوا؟ لا أقول: اقتلوا هؤلاء، فلننزع عنهم عمائمهم على الأقل!«.

كان على موقظ الهمم أن يجد سبيلا لكشف غبار الخمول عن طبقة العلماء وينتزعهم من عادات الدعة والمسالمة والتبذل والعقود ليتشوفوا إلى نشاط وجهاد ويحملوا أعباء المسؤولية. كانت إمكانيات القيادة ناعسة، وكان أهل الحق نياما، حتى بلغهم نداء حار عمهم مع كافة الشعب بشبابه وكهوله وشبيهه بنسائه ورجاله بموجة من الغيرة ألهبت المشاعر، وحققت في الواقع تلك الإمكانيات الراقدة، فكانت الأمثلة الرائعة لنكران الذات وتضامن الطبقات وتضحية لابسِي الأكفان المستشهرين في شوارع البلاد الصامدين لسلاح التدمير.

يقول هذا النداء: (ص 135) «نعم، يوجد فينا مهملون مغمورون لا يكادون يحسنون شيئا، ولا يكتبون ورقة علم، ولا يفتحون أفواههم بكلمة فيها هداية، ولا يكادون يفهمون حديثا من شؤون الحياة، وقد أذعنوا بأن لا قابلية فيهم نتيجة لما بثه العلماء فينا من أمثال هذه العبارات: ما أنت وذاك؟ عليك بدرسك، اذهب إلى مدرستك، وها نحن

أولاء نعجز عن إقناع البعض منا بالخطأ الذي وقعوا فيه من الاعتزال والإهمال وعدم الاهتمام بشؤون المسلمين.

بينوا للناس برامج الإسلام في حكومته، وضخوا ذلك للعالم، فلعل حكام ورؤساء المسلمين يقتنعون بصحة هذا ويتبعون. ونحن لا ننافسهم على الكراسي، بل نترك من كان منهم تابعا وأميناً على التنفيذ في مكانه.

علينا أن نشكل الحكومة الأمانة التي يركن الناس إليها ويثقون بها ويسلمونها أمورها كلها. نحن نريد من ينهض بالأمر بأمانة وإخلاص ليعيش الناس في ظل حكمه أمنين. والله يعلم أن أهليتكم وجدارتكم لتولي أمور الناس لا تقل عن الآخرين، سوى أننا لا نملك الإقدام على القتل بغير حق وعلى الجور والخسف لأن ذلك ليس من اختصاصنا».

قومة العلماء

إذا طغت حوافز الأنانية على سلوك الإنسان ارتكس سلوكه إلى خمول ونكوص عن المسؤولية الاجتماعية والسياسية. وقد رأينا كيف يشجب الداعي القدوة حوافز البطنة والأثر والسمعة الزائفة عند علماء السوء خدمة الطاغوت.

كونوا يدا واحدة: فبدلاً عن الأنانية والتردي في الشهوات يجب على المرشحين للقيادة أن يتحدوا أولاً حتى تتكون منهم ومن تماسكهم المنظم نواة الجماعة الحية القادرة على رفض واقع الفتنة ثم زلزلته ثم بناء البديل الإسلامي مكانه. يقول: (ص 112): «ماذا يضر لو هب العلماء فكانوا يدا واحدة في وجه الظلم! ما ضرهم لو اعترضوا جميعاً وأرسلوا البرقيات من جميع أنحاء العالم الإسلامي يستنكرون فيها الأعمال الجائرة التي تقوم بها السلطات! إذن لتراجعوا تحت تأثير ذلك الضغط الهائل، فهم جنباء كما أعرفهم، ولكنهم حين عرفوا فينا الضعف جالوا وصالوا».

أيام كان العلماء يدا واحدة ومن ورائهم الشعب في كل أنحاء البلاد
تراجعت السلطة عن مواقفها قليلا، ثم عادت لتغرس بذور الشقاق
والخلاف، ونتج عن ذلك أن تجرأت السلطة فكانت بعدها تعمل ما تشاء
وتختار، وما كان لأحد من الناس الخيرة في أمره.

لاحظ معي أن أفق الشيخ أوسع من الإقليمية القومية، وأن مرمى
نظره وحدة المسلمين في جميع أنحاء الأرض بوحدة علمائهم كما سنرى
لكن أين هذا الوسع من انحياز طائفة من المتفهمة ببلاد المسلمين إلى
جانب أصحاب النفوذ العاضين يسدون الطريق أمام الوصلة الإسلامية
التي يدعو إليها أمثال الخميني. يجمعون من أشتات كتب الشيعة خرافات
ومن عادات عامة الشيعة الجاهلين بدينهم كالعامية في كل بلادنا الإسلامية
الضائعة أمثلة يلفقونها ليستدلوا على أن الشيعة كفار وزائغون. ألا ساء
ما يزررون! إن الذين يبذرون الشقاق والخلاف بين السنين والشيعة هم
أسوأ أنواع الجاهلين، لا يستطيعون إدراج الخلاف المذهبي في نظرة شاملة
للمسلمين في صراعهم المصيري ضد قوى الجاهلية المتكالبة علينا، خاصة
على إخواننا بإيران الذين خصهم الله بسابقة الوقوف موقف القوة حتى
النصر أمام تيار الإفساد الجاهلي المغير. المتنورون من علماء السنة أمثال
شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت يفتنون أن المذهب الجعفري الذي عليه
الشيعة الإمامية مذهب من مذاهب المسلمين لا فرق بينه في ذلك وبين
مذاهب السنة الأربع. وفي الشيعة لا شك فرق منحرفة ورافضة، وفي
العامية الجاهلة عادات، وداخل السياج السني أيضا فرق منحرفة، وفي
عامتهم عادات لا تمت إلى الدين ولا إلى السنة بصلة. فمن الجهل الشائن
أن نعمم الحكم باستقراء أخطاء في الكتب وانحرافات لا يحمل وزرها إلا
أهلها الضالون على الأمة الإسلامية من شيعة وسنة بأن هذه أو تلك من
الفتن العظيمة في ضلال.

ومن الخيانة العظمى أن نترك الضمائر المرتزقة من ديدان القراء والعقول الضيقة من متفكحة الفتنة يحفرون الهوة بين المسلمين في وقت هم فيه أشد ما يكونون حاجة للاتحاد والتعاون على جهاد واجب يترتب على نتائجه إما ظهور الإسلام وانتصاره وإما إبادة واختفاؤه من على وجه الأرض.

إن علماء المسلمين من الطائفتين مسؤولون أمام الله عن تضييع أمانة الحق وأمانة الوحدة الإسلامية، عليهم أن يعطوا المثال للأمة بتجاوزهم ما في الكتب من أخطاء وما عند العامة من ضلالات، عليهم أن يعلموا الإسلام وينشروا دعوته على أنها رحمة لا نقمة، على أنها فسحة لا ضيق، على أنها تعطي الاجتهاد البشري ما دامت العقيدة مستقيمة والنية صالحة فرصة لكيلا يكون الخطأ المترتب عليه مباءة لغضب الله بل وسيلة لنيل رضاه.

يرى علماء المسلمين في حكامهم من بني جلدتهم لكن بعقول وأفئدة لا ينيرها الهدى ولا يسكنها الإيمان الكفر البواح. فعليهم أن يقودوا الشعوب الإسلامية المتشتتة لجهاد الكفر والظلم حتى تنفي الأمة عنها الخبث وتكون مؤهلة للوحدة والقوة وحمل الرسالة في العالم.

انها عن المنكر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تعليم الشعب دينه وواجباته وحدود حقوقه ومدى واجباته هي مهمات العلماء.

يقول الشيخ (ص 107): «بعض ما يصدر عن أجهزة حكام الجور من كلام أو تصريح قد يكون أشد ضرراً وخطراً على الإسلام وسمعته من سياستهم المنحرفة وأعمالهم الشريرة غير المشروعة... فمخالفة العالم لأهل البدع وبيانه لأحكام الله وتعاليمه المناهضة للمبدعين والظلمة والعصاة يحمل عامة الناس على اكتشاف الفساد الاجتماعي الناتج عن مظالم الحكام

الخائنين الفاسقين الكافرين ويحملهم بعد ذلك على مقاومتهم ومقاطعتهم أو التمدرس عليهم وعلى أوامرهم الصادرة عن مواقف الخيانة والظلم والفساد فالعالم في مواقفه المتصلبة الشديدة يقود عملية النهي عن المنكر التي تستتبع أن يقتدي الناس به بمجموعهم وجماهيرهم ضد السلطة المنحرفة، حتى إذا لم ترجع السلطة عن غيها ولم تلتزم بما أمر الله، وعمدت إلى استخدام السلاح في وجوه الناس اعتبرها الناس حينذاك فئة باغية يجب على الناس قتلها حتى تفيء إلى أمر الله».

هنا نقف قليلا لتمييز بين القومة لله والثورة، وبين حاكم ومحكوم في الشرع لابد من عقدة يتعهد بمقتضاها الحاكم المنتخب بطاعة الله والمحكومون بطاعة حاكمهم ما دام يطيع الله، هذه العقدة هي المبايعة. هذه الصيغة الشرعية للحكم في الإسلام انتهت العمل بها منذ حلول عهد الملك العاض وستعود إن شاء الله متى يشاء، ونحن في عهد الملك الجبرية، عهد الدكتاتوريات الفردية، فما بقي من شبهة لطاعة الحكام إلا بقدر ما يطيعون الله فعلا. فمتى عصوه وخانوا الأمانة للشعب حق إلهي في التمرد عليهم ومحاربتهم ولكي تنتفي كل شبهة وتقوم الحججة على الحاكم الظالم الكافر لابد للشعب بقيادة العلماء وبمثالهم أن يعرض صدره لرصاص الخيانة حتى يثبت للناس كافة أن الحاكم الظالم حقت عليه الكلمة وحل قتاله، مفهوم الفئة الباغية مفهوم قرآني، وعليه يؤسس الخميني كما قرأنا شرعية القومة، هذا أمر مهم جدا لأننا بإحراز الشرعية إلى جانبنا نخطو على أرضية إسلامية بمعاني القومة ويتميز عملنا عن أساليب الثورة التي تعتمد على شرعية بشرية تبيح للمظلوم والمحروم والمستغل أن يدبر الإطاحة بالظالمين.

لاعتبار الطبقة الحاكمة المستأثرة بالسلطان فئة باغية لابد له من

شواهد هي حال الظلم تصریحات الكفر وآثار التآمر والتآخي مع العدو الخارجي، وبعد ذلك كله لابد من إثبات بغيها في موقفها العنيف أمام القائمين للنهي عن المنكر. فمتى اجتمعت الشواهد وتبلورت نيات الحاكمين الفاسدة في صممهم عن الأمر الإلهي وتصديهم بالعنف للقائمين بشهادة القسط فقد آن الأوان بما ينتجه تعليم القيادة ومواقفها التربوية من يقظة في الشعب ووعي أن تقاتل الطائفة الباغية.

تكلّموا: لكن هذه المرحلة الحاسمة يجب أن تهيأ، على العلماء أن يتكلّموا ويعلموا وينشروا دعوتهم بكل الوسائل المتاحة لهم والمعبرة عن الإرادة الإيانية المناهضة للنزوات الشيطانية. تعليم، ثم تنظيم ثم قومة.

يقول الشيخ (ص 108): «وأنتم اليوم لا تملكون القدرة على مقاومة بدع الحكام أو دفع هذه المفسد دفعا تاما (بدع الحكام يجب أن تحارب قبل بدع العامة لأن فساد العامة إنما أتى من فساد الخاصة المستأثرة بالسلطان). ولكن لماذا السكوت؟ هؤلاء يذلونكم فاصرخوا في وجوههم على الأقل، واعترضوا، وأنكروا، وكذبوهم، لابد في مقابل ما يملكون من وسائل النشر والإعلام أن يكون في جانبكم شيء من تلك الوسائل حتى تكذبوا ما ينشرون وما يبشرون من أجل أن تظهروا للناس أن ما يدعونه من العدالة ليس من العدالة الإسلامية في شيء (وقد استعمل الشيخ وسائل الإعلام استعمالا ذكيا فكانت شبكات توزيع تبث في الناس أشرطة تسجيلية بصوته القوي فيها تعليم وتوعية واستنهاض لطلب الشهادة والموت في سبيل الله) فالعدالة الإسلامية التي منحها الله للفرد والمجتمع والعائلة قد دونت وشرعت بدقة من أول يوم، يجب أن يكون لكم صوت مسموع حتى لا تتخذ الأجيال القادمة من سكوتكم ما يبرر أعمال الظلمة من قول الإثم وأكل السحت وأكل أموال الناس بالباطل».

ويحث العلماء على أداء شهادتهم بالقدوة كما يحثهم على أداء أمانتهم في البيان فيقول (ص 127): «وإنكم إذا تحدثتم عن الإسلام بكل إخلاص وأظهرتم الناس على أصوله وأحكامه وأنظمتهم الاجتماعية فإن الناس سيرحبون بهذا الدين ويتبعونه. والله يعلم أن محبي الدين كثير ولكنهم لأكثر أحكامه جاهلون. وقد جربت ذلك بنفسي، فحين ألقى كلمة أمس في الناس تغيرا وتأثرا، لأن الناس ناقدون على أوضاعهم التي يعيشونها، يملأ عليهم الخوف من الظالمين جوانحهم، وهم بأمس الحاجة إلى من يتكلم بشجاعة وثبات. يا أبناء الإسلام! كونوا أشداء أقوياء في بيان حجتكم للناس لتغلبوا عدوكم بكل أسلحته وعساكره وحرسه. بينوا الحقائق للجماهير واستنهضوهم. وانفخوا في أهل السوق والشارع وفي العامل والفلاح والجامعي روح الجهاد. الجميع سيهبون للجهاد. الكل يطلب الحرية والاستقلال والسعادة والكرامة، اجعلوا تعاليم الدين في متناول الجميع فهو للجميع، وسترون سيقودهم إلى الطريق وينير لهم السبيل، ويصحح لهم أفكارهم وعقائدهم ويحملهم على التضحية والفداء لتتحطم أجهزة سياسة الجو والاستعمار ولنقوم على أسس راسخة أسس الحكومة الإسلامية.

على الفقهاء (حصون الإسلام) أن يبينوا للناس العقائد الحق والأنظمة الإسلامية وطرق الجهاد ويقودوا الناس، فإن الناس تنقاد لهم تلقائيا إذا المسوا فيهم الأهلية والإخلاص ونكران الذات، وعندها سيكون في فقد أمثال هؤلاء العلماء القادة مصيبة عظيمة على الناس، تترك في حياتهم فراغا مروعا، وتحدث في الإسلام ثلثة لا يسدها شيء. ومثل هذا الفراغ والثلثم لا يحدث بفقدي وأنا ومثلي ممن يقبع في زاوية بيته (انظر لطافة التنبيه).

القومة الإسلامية تطلب جهدا متواصلا يبدأ من تزكية الدعاة أنفسهم حتى يتهيأوا لعمل طويل وجهاد مرير فليس من لم يمسك زمام نفسه بترويضها على طاعة الله قادرا على قيادة الناس، وليس المستعجل الذي

يريد قطف الثمار قبل الغرس والتعهد الطويل والعناية الدقيقة مستحقا أن يكون أمينا على مستقبل أمة نامت عن حقها طويلا حتى سادتها الذهنية الغثائية والعادات المترفة والأنايات الفاجرة.

أخلاق وتزكية

يقول الشيخ (ص 114): «وقد كلفنا أن نهذب أنفسنا ونبعدها عن التهلك على حطام الدنيا. وأنتم فأعدوا أنفسكم لحفظ أمانة الله التي استودعكم إياها. كونوا أمناء على دينكم ولا تركزوا إلى الدنيا ولا تطمئنوا إليها، وإنكم لا تقدرتون من أنفسكم على مثل ما قدر عليه إمامكم أمير المؤمنين (ع) الذي كانت الدنيا عنده لا تساوي عفطة عنز. اعرضوا عما ضمن لكم في هذه الحياة، وزكوا أنفسكم واتقوا ربكم واتكلوا عليه.

وإن كنتم - لا سمح الله - إنما تدرسون علوم الدين لتترفوا في الحياة فأنا أؤكد لكم أنكم لا تبلغون من الله شيئا ولا تنالون لديه مقاما محمودا، والله سيحرمكم من فضيلة الاجتهاد والفقهاء والبصر في أحكام الدين، ولستم بذلك أمناء الرسل. أعدوا أنفسكم لخدمة دينكم جندوا أنفسكم... حتى تستطيعوا أن تبسطوا العدل في وجه البسيطة. أصلحوا أنفسكم وتخلقوا بأخلاق الله وأخلاق الأنبياء وتركوا زخارف الحياة، واكتفوا بعيشة الكفاف ليقبلي الناس بكم في عفة نفوسكم وإبائها ورفعتهما، وليكون لهم فيكم أسوة حسنة، كونوا جنودا لله ترفرف ألوية الإسلام في كل مكان على أيديكم.

صبر ومثابرة

يقول الشيخ (ص 145): «الإسلام اليوم غريب، وليس هناك من يعرفه، فعليكم أن تقربوه للناس وتوضحوه لهم حتى يفهم الناس الإسلام على وجهه بعيدا عن الشبه والشكوك والأقاويل التي قيلت فيه وأثيرت من

حول، بينوا للناس معنى الحكومة الإسلامية، بينوا لهم معنى الرسالة والنبوة والإمامة. لماذا جاء الإسلام؟ وما يريد؟ قليلا قليلا ويسكن الإسلام في القلوب والعقول لتقوم بعد ذلك حكومة إسلامية يتمثل فيها أمر الله ونهيه.»

ولكي يسكن الإسلام في القلوب والعقول، كما يقول الشيخ، لابد أن يوطد العلماء عزمهم على الجهاد المستمر الطويل. يقول (ص 128): «ونحن لا نتوقع أن تؤتي تعليماتنا وجهودنا أكلها في زمن قصير، لأن ترسيخ دعائم الحكومة الإسلامية يحتاج إلى وقت طويل وجهود مضمّنة. ونحن نرى كثيرا من العقلاء يضعون حجرا لبني عليه الآخرون بناء ولو بعد مائتي عام... عظماء الرجال يخططون للأجيال القادمة، ولا يجزئهم أن لا يلمسوا أثر خططهم ما دام المستقبل كفيلا بإعطاء النتائج والثمرات، ولا يداخلهم اليأس حتى في ذل الأسر وفي أغوار السجون - ومن أجل الانتصار للأهداف الكبيرة فهم يخططون في السجون لما يسعد الأجيال القادمة، وليس كل همهم أن يصلوا إلى ما يريدون، وكثير من الحركات والنهضات أخذت شكلها النهائي بعد تمهيدات قد ترجع في بعض الأحيان إلى ما قبل مائتي أو ثلاثمائة من السنين.

... كان موسى عليه السلام راعيا وحارسا سنين طويلة، ويوم كلف بمجاهدة فرعون لم يكن من يعينه على أمره. وبما لديه من قابليات ومواهب وقوى استطاع بعصاه أن يبدد ملك فرعون. لا تتصوروا أن عصي موسى لو كانت بيدي أو بيد أحد منكم كانت تعمل شيئا لأنه ليس لدينا تدبير موسى وهمته وجديته في عمله، وليس ذلك متيسرا لكل أحد. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صدع بالرسالة لا يملك من أسباب القوة إلا صبيبا لم يتجاوز العاشرة هو علي بن أبي طالب (ع) وامرأة متقدمة في السن هي زوجته خديجة، فقد آمنأ به ونصراه وأعاناه على أمره. وكان

سائر الناس يؤذونه ويعادونه ويكذبونه. ولكن اليأس لم يكن له إلى النبي صلى الله عليه وسلم وناصره سبيل، فقد ثبتوا بعزم وصبر وحزم حتى ظهر أمر الله وخسر هناك المبطلون. وضرب الإسلام أوتاده في شرق الأرض وغربها حتى ليومن به اليوم ما لا يقل عن سبعمائة مليون مسلم.

قومة ضد الشرك والفساد

بعد معرفة العنصر الحي الذي يجب أن يحرك القومة ويهيئها وينظم لها، وبعد معرفة أخلاق القيادة الإسلامية وواجباتها في إعطاء القدوة والمثال وفي التعليم والتوعية وفي صبر وطول النفس لا بد من معرفة طبيعة المنكر الذي يجب تغييره ليحل بدله المعروف.

تخطيم الطاغوت

يقول الشيخ (ص 34): «نحن مسؤولون عن تهيئة الجو المناسب لتربية وتنشئة جيل مؤمن فاضل يحطم عروش الطواغيت ويقضي على سلطاتهم غير الشرعية، لأن الفساد والانحراف ينموان على أيديهم. وهذا الفساد ينبغي إزالته ومحوه وإيزال العقوبة الصارمة بمسببيه. وقد وصف الله في كتابه المجيد فرعون بأنه «كان من المفسدين»، وفي ظل حكم فرعوني يتحكم في المجتمع ويفسده ولا يصلحه لا يستطيع مؤمن يتقي الله أن يعيش ملتزماً ومحتفظاً بإيمانه وهديه. وأمامه سبيلان لا ثالث لهما: إما أن يقسر على ارتكاب أعمال مردية، أو يتمرد على حكم الطاغوت ويحاربه، ويحاول إزالته، أو يقلل من آثاره على الأقل. ولا سبيل لنا إلا الثاني، لا سبيل لنا إلا أن نعمل على هدم الأنظمة الفاسدة والمفسدة ونحطم زمر الخائنين والجائرين من حكام الشعوب.

هذا واجب يكلف به المسلمون أينما كانوا من أجل خلق ثورة (نقول

نحن: قومة) سياسية إسلامية ظافرة منتصرة.

ويقول للتبديل على وجوب القومة (ص 33): «الشرع والعقل يفرضان علينا ألا نترك الحكومات وشأنها. والدلائل على ذلك واضحة، فإن تمادي هذه الحكومات في غيها يعني تعطيل نظام الإسلام وأحكامه. في حين توجد نصوص كثيرة تصف كل نظام غير إسلامي بأنه شرك، والحاكم أو السلطة فيه بأنه طاغوت. ونحن مسؤولون عن إزالة آثار الشرك من مجتمعنا المسلم، وإبعادها تماما عن حياتنا.»

ويقول: (ص 85): يقول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء، 60) والمقصود من الطاغوت كل هيئة وسلطة قضائية أو حكومية تحكم أو تقضي بغير ما أنزل الله، وتعمل في الناس بالجور والإثم والعدوان، وقد أمرنا الله أن نكفر بمثل ذلك، وأن نتمرد على كل حكومة جائرة وإن كان ذلك يكلفنا الصعاب ويحملنا المشاق».

أكلة السحت

تعطيل شرع الله يعقبه في المجال الاجتماعي ظلم وأثرة وأكل أموال الناس بالباطل، يقول الشيخ: (ص 109): «ما أشد ضيق التفكير لدى بعض الناس حين يتصور أن المراد من أكل السحت لا يكاد يتجاوز النقص في الميزان، والبخس في المكيال، والعياذ بالله، ولا يدور في خلدنا ما يجري من أكل السحت بالأشكال الفظيعة الأخرى من اختلاس أموال الشعب كلها وابتلاع بيت المال كله. هؤلاء يسرقون نفطنا ويبيعونها في أسواق الاحتكارات الأجنبية... وعن هذا الطريق يصلون إلى الإثراء غير المشروع. وتتعاون على نفطنا عدة دول أجنبية تستخرجه وتسوقه وتعطى قبالة أجرا زهيدا تسلمه إلى عملائها من الحكام ليعاد إليها مرة أخرى بكل

وسيلة ممكنة، وإذا وصل إلى خزينة الدولة شيء فلا يعلم إلا الله كيف يصرف وكيف ينفق ومتى وأين. هذا أكل للسحت على نطاق عالمي، وهو منكر فظيع خطر ليس هناك ما هو أشد منه فظاعة وخطرا ونكرا. تأملوا في أوضاع مجتمعنا وفي أعمال الدولة وأجهزتها لتبين لكم أشكال فظيعة من أكل السحت...

يجب علينا أن نقاوم أكل السحت وانتهاب الثروات الوطنية وهذا واجب على جميع الناس. ولكن مهمة العلماء في هذا الشأن أشد وطأة وأكثر أهمية. ونحن يجب علينا في هذا الجهاد المقدس والواجب الخطير أن نسبق سائر الناس بحكم مهمتنا وموقفنا. ولئن كنا اليوم نفقد القدرة على المقاومة ومد الخائنين وآكلي السحت ومنتهبي أموال الشعب وإنزال العقوبة بهم، فإنه يجب علينا أن نسعى لتحصيلها بجميع الوسائل المشروعة. وعلينا أن لا نفرط على الأقل - ونحن في مسيرتنا هذه نحو القوة - بإظهار الحقائق وفضح العمليات وفضح عمليات السلب والنهب التي تعرض لها البلاد.

فساد الحكام

يقول الشيخ (ص 44): «وأنتم تعلمون أن أكثر مفاسد مجتمعنا يعود سببها إلى فساد الأسرة الحاكمة والعائلة المالكة. ما هي شرعية هؤلاء الحكام الذين يعمرّون بيوت اللهو والفساد والفحشاء والمنكر ويخربون بيوتنا أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه؟ لولا ما يبذره البلاط وما يختلسه لما دخل ميزانية البلاد أي عجز يحمل الدولة عن الاستدانة من أمريكا وإنكلترا بما يصاحب ذلك من ذل ومهانة. فهل قل نفطنا؟ أم هل نصبت معادننا المذخورة تحت هذه الأرض الطيبة؟ نحن نملك كل شيء ولا نفتقر إلى مساعدة من أمريكا وغيرها لولا نفقات البلاط وإسرافه في أموال الشعب.

الحل الإسلامي

وجوب إقامة دولة إسلامية

يقول الشيخ (ص 25): «بديهي أن ضرورة تنفيذ الأحكام لم تكن خاصة بعصر النبي صلى الله عليه وسلم. بل الضرورة مستمرة، لأن الإسلام لا يجد بزمان أو مكان، لأنه خالد. فيلزم تطبيقه وتنفيذه والتقيده به إلى الأبد. وإذا كان حلال محمد صلى الله عليه وسلم حلال إلى يوم القيامة، وحرماه حرام إلى يوم القيامة فلا يجوز أن تعطل حدوده وتهمل تعاليمه ويترك القصاص أو تتوقف جباية الضرائب المالية أو يترك الدفاع عن أمة المسلمين وأراضيهم. واعتقاد أن الإسلام جاء لفترة محدودة أو لمكان محدود يخالف ضروريات العقائد الإسلامية، وبما أن تنفيذ الأحكام بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وإلى الأبد ضرورة من ضرورات الحياة لذا كان ضروريا وجود حكومة فيها مزايا السلطة المنفذة المدبرة. إذ لولا ذلك لساد الهرج والمرج والفساد الاجتماعي والانحراف العقائدي والخلقي. فلا سبيل إلى منع ذلك إلا بقيام حكومة عادلة تدير جميع أوجه الحياة.

الحاكمية لله

يقول الشيخ (ص 41): «الحكومة الإسلامية لا تشبه الأشكال الحكومية المعروفة. فليست هي حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برأيه عابثا بأموال الناس وراقبهم. فالرسول صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين علي عليه السلام وسائر الأئمة ما كانوا يملكون العبت بأموال الناس ولا برقابهم. فحكومة الإسلام ليست مطلقة وإنما هي دستورية، ولكن لا بالمعنى الدستوري المتعارف الذي يتمثل في النظام البرلماني أو المجالس الشعبية، وإنما هي دستورية بمعنى أن القائمين بالأمر يتقيدون بمجموعة الشروط والقواعد

المبينة في القرآن والسنة والتي تتمثل في وجوب مراعاة النظام وتطبيق أحكام الإسلام وقوانينه. ومن هنا كانت الحكومة الإسلامية هي حكومة القانون الإلهي. ويمكن الفرق بين الحكومة الإسلامية والحكومات الدستورية الملكية منها والجمهورية في أن ممثلي الشعب أو ممثلي الملك هم الذين يقننون ويشرعون، في حين تنحصر سلطة التشريع بالله عز وجل وليس لأحد أيا كان أن يشرع. وليس لأحد أن يحكم بما لم ينزل الله به من سلطان. لهذا فقد استبدل الإسلام بالمجلس التشريعي مجلساً آخر للتخطيط، يعمل على تنظيم سير الوزارات في أعمالها وفي تقييم خدماتها في جميع المجالات.

وكل ما ورد في الكتاب والسنة مقبول مطاع في نظر المسلمين. وهذا الانصياع يسهل على الدولة مسؤولياتها، في حين أن الحكومات الدستورية الملكية منها أو الجمهورية، إذا شرعت الأكثرية فيها شيئاً فإن الحكومة بعد ذلك تعمل على حمل الناس على الطاعة والامتثال بالقوة إذا لزم الأمر.

فحكومة الإسلام القانون، والحاكم هو الله وحده، وهو المشرع وحده لا سواه، وحكم الله نافذ في جميع الناس وفي الدولة نفسها. كل الأفراد: الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه وسائر الناس يتبعون ما شرعه لهم الإسلام الذي ينزل به الوحي ويبينه الله في القرآن أو على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم.

... أجل فالحكومة في الإسلام تعني اتباع القانون وتحكيمه. والسلطات الموجودة عند النبي صلى الله عليه وسلم وولاية الأمر الشرعيين من بعده إنما هي مستمدة من الله. وقد أمر الله باتباع النبي وأولى الأمر من بعده «وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» فلا مجال للآراء والأهواء في

حكومة الإسلام، وإنما النبي والأئمة والناس يتبعون إرادة الله وشريعته.

العدل وإنصاف المحرومين

يقول الشيخ (ص 36): «وقد استعان المستعمرون بعملاء لهم في بلادنا من أجل تنفيذ مآربهم الاقتصادية الجائرة. وقد نتج عن ذلك أن يوجد مئات الملايين (الرجل يفكر على الصعيد الإسلامي لا الإقليمي) جياعا يفتقدون أبسط الوسائل الصحية والتعليمية. وفي مقابلهم أفراد ذوو ثراء فاحش وفساد عريض. والجياع من الناس في كفاح مستمر من أجل تحسين أوضاعهم وتحليص أنفسهم من وطأة جور حكامهم المعتدين ولكن الأقليات الحاكمة وأجهزتها الحكومية هي الأخرى تسعى إلى إخماد هذا الكفاح أما نحن فمكلفون بإنقاذ المحرومين، المظلومين، نحن مأمورون بإعانة المظلومين ومناوأة الظالمين، كما ورد ذلك في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولديه: «كونا للظالم خصما، وللمظلوم عوناً».

وعلماء الإسلام مكلفون بمناضلة المستغلين الجشعين لئلا يكون في المجتمع سائل محروم مقابل مرفه جشع أصابه بطر».

بطر الشاه بالنعمة وكفرها. أنفق ألف مليون دولار على إحياء الذكرى الوثنية لمرور ألفين وخمسة مائة سنة على ملك قوروش. كان يعتبر نفسه امتدادا للوثنية في بلاد المسلمين لذلك خاطبه قائلاً في ذكره التي جمع عليها العالم ليشهد الشرق والغرب بسفهه: «نم هادئاً يا قوروش، فنحن نحمل التراث!».

والحق أنه كان حامياً كل التراث الجاهلي بما فيه من زيغ عن الدين وظلم للشعب وسفك لدمه. فلذلك سهل مهمة الشيخ الجليل إذ آثار غضب القاعدة الذي وجد في الإسلام صيغة التعبير والقيادة النظيفة الصادقة.

يقول الشيخ (ص 37): «كيف يسوغ لنا أن نسكت عن بضعة أشخاص من المستغلين والأجانب المسيطرين بقوة السلاح، وهم قد حرموا مئات الملايين من الاستمتاع بأقل قدر من مباحج الحياة ونعمها؟ فواجب العلماء وجميع المسلمين أن يضعوا حدا لهذا الظلم، وأن يسعوا من أجل سعادة الملايين من الناس في تحطيم الحكومات الجائرة وإزالتها بتأسيس حكومة إسلامية عاملة مخلصه.

ثم يقول الشيخ في شأن مسؤولية العلماء عن وضع الجور والفساد عندما قعدوا عن السعي لإقامة الدولة الإسلامية (ص 39): «إذا أردنا تخليد أحكام الشرع عمليا، ومنع الظلم والاعتداء على حقوق الضعفاء من الخلق ومنع الفساد في الأرض، ومن أجل تطبيق أحكام الشرع بشكل عادل ومحاربة البدع والضلالات التي تقررها المجالس النيابية-البرلمانية المزيفة (هكذا ينبغي أن تحارب البدع الكبرى قبل الصغرى يا من تعنفون على الشعب بدل أن تعلموه!) ومنع نفوذ وتدخل الأعداء في شؤون المسلمين. من أجل ذلك كله لا بد من تشكيل الحكومة، لأن ذلك كله مما تنهض بأعبائه الحكومة بقيادة حاكم أمين صالح لا جور عنده ولا انحراف ولا فساد.

وفي السابق لم نعمل ولم ننهض سوية لتشكيل حكومة تحطم الحكام الخائنين المفسدين. وبعضنا قد أبدى فتورا حتى في المجال النظري، وتقاعس بعضنا عن الدعوة إلى الإسلام ونشر أحكامه. ولعل بعضنا قد انشغل بالدعاء لهم. ونتيجة لكل ذلك وجدت هذه الأوضاع، وقل نفوذ حكم الإسلام في مجتمع المسلمين، وابتليت الأمة بالتجزئة والضعف والانحلال، وتعطلت في مجتمع المسلمين، وتبدلت الحال. وانتهم المستعمرون ذلك فرصة سانحة فاستقدموا قوانين أجنبية لم ينزل الله بها من سلطان. ونشروا ثقافتهم وأفكارهم المسمومة وأذاعوها في المسلمين. كل ذلك لأننا فقدنا القائد القائم على شؤون المسلمين، وفقدنا تشكيلات الحكومة الصالحة. وهذا من الواضحات.

نبد النموذج الجاهلي

لتمكن الثقافة الجاهلية من الأفكار، والحساسية الجاهلية من العواطف، فإن «النخبة» التي تسيّر الأمور إمعة في نفسها خاضعة تابعة للنموذج الجاهلي في مضمون العمل وأشكاله. تمتاز الحضارة الجاهلية بالعنف والتبذير والاستعلاء على الشعوب المستضعفة. وقد رأينا كيف حلت القوة محل العنف بعد انتصار الشيخ وجنده من العلماء والشباب. والجاهلية لا ترى في المحاكم الإسلامية التي دانت قداماء الجلادين مظهرا للعدل لكنها تعترف بروعة النموذج البشري الذي يمثله الشيخ بهدوئه وبساطته وتواضعه. وتلك صفات لها جذور عميقة في الشخصية الإسلامية المتحررة من التبعية المستقلة بفكرها وإرادتها عن الحاجات المزيفة الخاضعة لأمر الله ونموذج رسوله.

الحكم بما أنزل الله

يقول الشيخ عن نتائج التبعية للقانون الوضعي في مجال القضاء (ص 13): «وقد سببت هذه القوانين الأجنبية للمجتمع المسلم مشاكل جمّة. فذوو الخبرة من الحقوقيين متدمرون منها. وكل من ألت به مشكلة قضائية أو حقوقية في إيران أو الدول المشابهة لا بد أن يقضي عمرا مديدا من أجل كسبها. قال لي أحد مهرة المحامين وهو يحاورني: «أنا أستطيع أن أعالج قضية بين متخاصمين في المحاكم طيلة عمري، ومع ذلك فيغلب على ظني أن ابني سيخلفني فيها من بعدي» هذه حقيقة موجودة الآن، يستثنى من ذلك ما يكسبه ذوو النفوذ من قضاياهم كسبا سريعا غير مشروع بما يجيدونه من المكر والاحتيال والرشوة

وأساليب الغش والخداع. ونحن نرى أن القوانين القضائية اليوم لا تريد بالناس إلا العسر والقضية التي كان يبت فيها قاضي الشرع في يومين أو ثلاثة تستغرق اليوم عشرين عاماً. وفي هذه المدة يشيب الشاب من كثرة مراجعة دوائر القضاء صباحاً ومساءً والدوران في أروقتها بغير أمل كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها.

يظهر للأجانب الجاهليين وتلامذتهم الذين ذابت شخصيتهم وانمسخت ذاتيتهم أن مبادئ القضاء الإسلامي الراجعة إلى نقطتي البيئة على المدعي واليمين على من أنكر مبادئ مقتضبة، ويرون أن المسطرة وتعقيدها ضماناً لحقوق الناس، والنتيجة في ما نعلمه وما يصفه الشيخ.

لما أصبحت الذم رخيصة وماتت المروءة بالانحراف العام عن الإسلام أصبحت اليمين كلمة لا معنى لها. وفي ظل الحكم الإسلامي لا بد أن تقوم الدعوة بتربية الإيمان حتى تستقيم الضمائر ويصبح اليمين بالنسبة للمسلم أمراً عظيماً لا يقدم عليه وهو فاجر. وذلك عندما تحل مخافة الله في القلوب مخافة الناس. عند ذلك تبرأ الذم وتقضي حوائج المتخاصمين بضوابط الشرع المستندة على حوافز الصدق. وعند ذلك تكون المسطرة وسيلة لتحري الحقائق في إثبات البيئة. ويبدو للجاهليين وتلامذتهم أن الشريعة الإسلامية قاسية. فلندع الشيخ يجب. يقول (ص 14): «يكتبون أحياناً في كتبهم وصحفهم: «أحكام الإسلام قاسية ذات خشونة». حتى لقد تجرأ أحدهم بكل وقاحة وقال: «خشونة هذه الأحكام مستمدة من خشونة البداوة خشونة العرب هي التي سببت خشونة هذه الأحكام».

أنا أعجب لهؤلاء كيف يفكرون! هم ينفذون حكم الإعدام بحجة القانون في عدة أشخاص لتهريبهم عشر غرام هيرويين. وقد بلغني أنهم أعدموا قبل حين عشرة أشخاص ثم واحد آخر من أجل تهريب عشر غم

هروئين. حينما يشرعون هذه القوانين اللإنسانية بحجة منع الفساد لا يرون فيها خشونة أنا لا أبيع التعامل بالهروئين، ولكنني أنكر أن يكون الإعدام جزاء تعاطيه، بل لابد من مكافحة ذلك لكن على أساس مناسب لحجم الجريمة.

جلد شارب الخمر ثمانين جلدة خشونة، وإعدام الأشخاص بسبب تهريب عشر غم هروئين لا خشونة فيه! في حين أن أكثر المفاسد الاجتماعية إنما يسببها الخمر. حوادث الاصطدام في الطرقات، وحوادث الانتحار وحتى الإدمان على الهيروين - كما يقول البعض - من عواقب السكر ومعاقرة الخمور. ومع ذلك فهم لا يحظرون الخمر لأن الغرب قد أباح هذا، ولهذا فهم يتعاطون بيعها وشراءها بحرية تامة. الويل للإسلام منهم إذا أراد أن يجلد شارب الخمر ثمانين سوطاً أو يجلد الزاني غير المحصن مائة جلدة أو يرحم المحصن أو المحصنة. ها هم يصرخون! «إنها أحكام قاسية ذات خشونة مستمدة من خشونة العرب!».«

في حين أن أحكام العقوبات الجنائية في الإسلام قد جاءت لمنع الفحشاء والمنكر والفساد في أمة كبيرة مترامية الأطراف. وها هو الفساد قد ظهر إلى حد ضاع فيه شبابنا وتاهوا، لأن هذا الفساد قد مهد له ودعي إليه، وتوفرت له التسهيلات اللازمة، وإذا أراد الإسلام في هذه اللحظة أن يتدخل ويجلد شارب خمر بحضور طائفة من المؤمنين فإن أولئك سيتهمون بالخشونة والقسوة. وفي مقابل هذا لا ينبغي الاعتراض على ما يجري في فيتنام منذ خمسة عشر عاماً على يد سادة هؤلاء الحكام، على ما في ذلك من نفقات باهظة تستنزف من جيوب الشعوب. أما إذا أراد الإسلام أن يفرض الدفاع عن نفسه، ويعلن الحرب لقطع دابر الفساد فإنهم يصرخون: لم قامت هذه الحرب؟

كل هذه خطط صممت ورسمت قبل مئات السنين، وهم ينفذونها تدريجيا في البدء أسسوا مدرسة في مكان ما، ولم نحرك ساكنا وغفلنا وغفل أمثالنا عن منع ذلك. وزادت تدريجيا والآن ترون أن لهم دعاة في جميع القرى، وقد عملوا على إبعاد أطفالنا عن دينهم. وتتمثل بعض خططهم في إبقائنا على تخلفنا وضعفنا وبؤسنا ليستفيدوا هم من ثرواتنا ومعادننا وأراضينا وقوانا البشرية. هم يرون أن نبقى بؤساء مساكين من غير اطلاع ومعرفة لما شرعه الإسلام في معالجة الفقر، ليعيشوا هم وعملاؤهم وأذناهم في قصور وبروج في حياة ناعمة يرفلون. وقد تركت خططهم آثارها حتى في مجامعنا الدينية والعلمية، بحيث أن أحدا لو أراد التحدث في موضوع حكومة الإسلام فلا بد أن يستعمل التقية أو يجابه أذنا الاستعمار، حتى إن هذا الكتاب حينما صدر في طبعته الأولى أثار عملاء شاه في العراق (طبع الكتاب منذ عشر سنوات في العراق)، وكشف عنهم بما أبدوه من حركات يائسة لم تجدهم نفعاً.

الرجوع للشخصية الإسلامية والاعتزاز بها

يقول الشيخ (ص 17): «ما نقاسيه الآن إنما هو من آثار تلك الدعايات المضلة التي انتهى بها أصحابها إلى ما يريدون. وأحوجتنا إلى جهود كبيرة كي نثبت أن في الإسلام مبادئ وقواعد لتشكيل الحكومة.

هذا وضعنا، وها هم الأعداء قد رسخوا تلك الأباطيل في نفوس الناس بالتعاون مع عملائهم، وأخرجوا قوانين الإسلام القضائية والسياسية عن حيز التنفيذ، واستبدلوا بها قوانين أوربا تحقيرا للإسلام وطردها له من المجتمع. وقد انتهزوا في ذلك كل فرصة سانحة.

هذه مخططات الاستعمار التخريبية. وإذا أضفنا إليها عوامل الضعف الداخلية لدى بعض أفرادنا نتج عن ذلك أن هذا البعض أخذ يتضاءل

ويحتقر نفسه في مقابل التقدم المادي لدى الأعداء. فحينما تتقدم دول صناعيا وعلميا يتضاءل بعضنا ويظن أن قصورنا عن ذلك إنما يعود إلى ديننا، وأن لا سبيل إلى مثل هذا التقدم إلا في اعتزال الدين وقوانينه والمروق عن التعاليم والعقائد الإسلامية. وعند ذهابهم إلى القمر تصور هؤلاء أن الدين مانعهم عن هذا!! أحب أن أقول لهؤلاء: ليست قوانين المعسكر الشرقي أو الغربي هي التي أوصلتهم إلى القمر وإلى هذا التقدم الرائع في غزو الفضاء الخارجي، فقوانين هذين المعسكرين مختلفة تماما. ليذهبوا إلى المريخ وإلى أي مكان يشاؤون، فهم لا يزالون متخلفين في مجال توفير السعادة للإنسان، ومتخلفين في نشر الفضائل الخلقية، وفي إيجاد تقدم نفسي وروحي مشابه للتقدم المادي. ولا يزالون عاجزين عن حل مشاكلهم الاجتماعية، لأن حل تلك المشاكل ومحو الشقاء يحتاج إلى روح عقائدية وأخلاقية. والمكاسب المادية في مجال تذليل الطبيعة وغزو الفضاء لا تستطيع النهوض بذلك. الثروة والطاقات والإمكانات بحاجة إلى الإيمان والعقيدة والأخلاق الإسلامية حتى تتكامل وتتعدل وتخدم الإسلام وتدفع عنه الحيف والبؤس. ونحن وحدنا نملك هذه العقائد والأخلاقيات والقوانين. وعلى هذا فلا ينبغي لنا بمجرد أن نرى أحدا يذهب إلى القمر أو يصنع شيئا أن نطرح ديننا وقوانيننا التي تتصل اتصالا مباشرا بحياة الإنسان، وتحمل نواة إصلاح البشر وإسعادهم في الدنيا والآخرة.

السعادة في البساطة

تراكم عند الحضارة الجاهلية أشياء ومعارف تقنية ووسائل مادية هائلة. والتيار الذي يسير بنا في خط التبعية يفرض على فكر «النخبة» التابعة وأسلوبها النظرة الكمية الجاهلية للأشياء، فلا تتصور اقتصادا، ولا مؤسسات حكومية واجتماعية إلا على شكل النماذج الجاهلية وحجمها وعادتها في التدبير. لاشك أن من أعوص المهفات التي يواجهها

الشيخ وقد تربع على كرسي السلطة هي مهمة الإنتاج والتوزيع، أي مهمة الكم. وقد يصعب على المصلحين أمثاله أن يحملوا الناس جميعا على التضحية والتقلل وبذل الجهد حتى تتغلب الأمة على مشاكل الإنتاج والتوزيع، لكن فكرة البساطة ومبدأ التقلل ثم التربية عليهما مفتاح مشاكل الكم إلى جانب الكفايات التقنية التنظيمية. والغرب اليوم يتخبط في مشاكل الكم، في مشكلة الطاقة واضطراب الاقتصاد العالمي. فما لديه من تقاليده وتعاليم حضارته بعد البساطة والتقلل، وهما مقولتان أخلاقيتان روحيتان، الذي فيه يمتص جشع النفس البشرية في الاستهلاك وجشع الطبقة وجشع رأس المال.

أخذ عقلاء البشر يفهمون أن هذا الكوكب موارده محدودة، وأخذوا يحسبون عواقب التسارع المحموم لنمو اقتصادي سريع في كل أنحاء المعمور، وأخذوا يلمسون نتائج التنافس على المواد الخام ونتائج الحرب الاقتصادية وما يفتحه هذا التنافس الاقتصادي من ذرائع للتوغل في التنافس السياسي المفضي إلى العنف والحرب والدمار العام.

الحضارة الجاهلية المهيمنة عاجزة عن إعطاء بديل لاقتصاديات التبذير والاستهلاك المبدئي وما يواكبه من قسم البشر على وجه الأرض إلى أمم غنية قوية تزداد قوة وغنى، وأخرى ضعيفة فقيرة تزداد مع الأيام ضعفا وفقرا.

الحضارة الجاهلية سفينة غارقة غدا لعجزها عن إحلال العدل في العالم، وإنصاف المحرومين على وجه الأرض، وإقامة علاقات اقتصادية على غير قوانين الغاب التي صاغتها الجاهلية المهيمنة لصالحها.

ولابد للدولة الإسلامية الإقليمية في إيران اليوم، والدول الإقليمية الإسلامية في سائر بلاد المسلمين غدا، أن تقتحم عقبات الكم في

انتظار الدولة الإسلامية الموحدة التي تلم الجهود وتعطي للعالم نموذج الحضارة الأخوية متعاونة مع المستضعفين في الأرض.

والأسلوب الإسلامي، بل السميت الإسلامي في مجالات الكم أن يمتلك الإنسان الكفاية التي بها كرامته دون أن تستعبده الحاجات المصنوعة، ودون أن يصبح عجلة في دولاب الإنتاج فالاستهلاك - الاستهلاك فالإنتاج.

البساطة والتقلل إذن. وبدونها يصبح العالم غابة عنيفة، وهو اليوم كذلك وسيزداد بمنطق الذهنية الجاهلية المبنية على الأثرة الفردية أو الأثرة الطبقية أو الأثرة القومية.

معنى البساطة والتقلل مع الفاعلية وكرامة الإنسان. ونموذجنا الإسلامي في المبادئ وفي التاريخ لا يعطي قيمة لما يحيط بالإنسان من لباس وطعام وأثاث، بل للإنسان نفسه بقيمه الخالدة بعد فناء المادة، قيم الخضوع لله، وشكر نعمائه بالتواضع في الأرض ونصرة المحروم والمظلوم.

يقول الشيخ الخميني (ص 43): «وحكومة الإسلام ليست ملكية ولا شاهنشاهية ولا إمبراطورية، لأن الإسلام منزه عن التفريط والاستهانة بأرواح الناس وأمواهم بغير حق. ولذلك لا يوجد في حكومة الإسلام نظير ما يكثر وجوده عند السلاطين والأباطرة من قصور ضخمة وخدم وحشم وبلاط ملكي وديوان لولي العهد وأمثال ذلك من المستلزمات التافهة التي تلتهم نصف أو غالبية ثروة البلاد. حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت في منتهى البساطة كما تعلمون بالرغم من أنه كان يرأس

الدولة ويسيرها ويحكمها بنفسه... وكانت حكومة علي بن أبي طالب عليه السلام حكومة إصلاح كما تعرفون، وكان يعيش ببساطة تامة وهو يدير دولة مترامية الأطراف تكون فيها إيران ومصر والحجاز واليمن مجرد ولايات وأقاليم تابعة لحكمه. ولا أظن أن أحدا من فقرائنا يستطيع أن يمارس أسلوب العيش الذي كان عليه الإمام عليه السلام، فقد نقل أنه عندما اقتنى ثوبين أعطى أجودهما لخادمه قنبر وارتدى الآخر.

وإذا وجد في رده فضلا قطعه. ولو كانت تلك السيرة مستمرة إلى الآن لعرف الناس طعم السعادة ولما نهبت خزائن البلاد لتصرف في الفحشاء والمنكر ومصارف ونفقات البلاط.

... هناك دوائر في الدولة لا حاجة إليها وهي تستهلك أموالا وطاقات وورقا وأدوات، وذلك إسراف محرم في شريعتنا. لأن ذلك يزيد في مشاكل الناس ويأخذ عليهم وقتا وجهدا ويستنزف منهم أموالا هم أحوج ما يكونون إليها، ففي الإسلام -أيام حكمه- كان يجري القضاء، وتقام الحدود والتعزيزات ويفصل في النزاعات ببساطة تامة. كان القاضي يكتفي ليقوم بكل ذلك ببضعة أشخاص يضاف إلى ذلك قلم وقليل من الحبر والورق. ومن وراء ذلك كان يوجه الناس إلى العمل من أجل حياة شريفة فاضلة (أي أن القاضي وكل رجال الدولة كانوا في نفس الوقت أصحاب دعوة يصلحون بيد القوة ما لم يهذبهم الإرشاد والتوجيه). أما الآن فالله يعلم عدد دوائر العدل ودواوينها وموظفيها. وكلها عقيمة لا تقدم للناس نفعا سوى ما تسببه لهم من أتعاب ومصاعب وتضييع للأوقات والأموال وبالتالي تضييع للقضايا والحقوق.

التخطيط والبرنامج

المهتمون بالسياسة والتنمية الاقتصادية والتغيير الاجتماعي عامة لا يهتمون إلا بالإنجازات المادية، والبرامج الكمية. وعندما يفكرون في الإنسان فإنها يفعلون ذلك في إطار التنظيمات المؤسسية وإطار الحوافز والروادع الحكومية. القاعدة الفلسفية الإيديولوجية عند غير الإسلاميين تعطي قليلا أو كثيرا من الأهمية لتحديد أهداف الإنسان، لكن هذه الأهداف لا تتعدى أفق الفردية اللبرالية أو المجموعة الشيوعية إلى اعتبار الإنسان في فردانيته، في كرامته كعضو فذ في الأسرة البشرية صائر بعد الموت إلى دار الجزاء.

عندما يفكر الإسلاميون ويكتبون ويعملون، إنما ينصب اهتمامهم في أول الأمر وآخره على الفرد وضرورة تربيته حتى يتأهل للالتحام بالجماعة التحاماً إرادياً بتفتح كفاءاته واكتمال قابلياته الخلقية الروحية.

وأصحاب البرامج الكمية المحض يعتبرون مثل هذا التفكير أخلاقية حاملة لأن التغيير في نظرهم ينبغي أن يبدأ وينتهي من تغيير البنيات السياسية-الاجتماعية بتغيير القاعدة الاقتصادية. وهذا عندهم يسمى علماً واشتراكية علمية.

ونحن مع الشيخ الصالح الخميني نعتقد أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن التغيير الكمي والبنوي الذي يفرض من خارج لا ينتج في أحسن الحالات إلا مجتمعا استهلاكيا. وفي أسوأها عندما تكون الإرادة المغيرة بعيدة عن بأس التنظيم الفولاذي للطليلة المنضبطة ينتج محاولات رخوة تنمي التخلف عوض أن تنمي الاقتصاد.

يزعم الشيوعيون أن تغيير البنى يؤول إلى تغيير الإنسان، وهذا حق، لأن

منطق التصنع التكنولوجي يقتضي أن يكون للدولة اختصاصيون، وتنظم الإدارة وأجهزة التخطيط. ولممارسة هذه الأعمال والحصول على نتائج عملية لا بد من نصيب كبير من ضبط الناس وتعليمهم وترقية ملكاتهم. هذه شروط الفاعلية. لكن الإنسان الحاصل عبر هذه الجهود إنسان صانع لا غير. لا هدف له ولا مبدأ ولا مبادئ. إنسان مضغوط مسخر مكبوس.

وتغيير الإنسان والمجتمع والبنى بالأسلوب الإسلامي والمنهاج القرآني لا يتم في مرحلتين إحداهما تخصص لتربية الأفراد حتى ينتظموا كلهم في معايير خلقية روحية عقلانية منسجمة ليتأتى القفز للمرحلة الثانية. كلا بل العمليتان متداخلتان متشابكتان متزامتان. المسلم الفاتر يتحمس وهو يزاول عملاً يتحدى كفاءته تحت وازعي القرآن والسلطان في آن واحد. المسلم المنحل قليل الإنتاج والمعرفة ينضبط ويجمع همته ويتعلم وهو يشارك جماعة المؤمنين في جهودها الجماعية، يسري إليه وعيها وإرادتها بالمشاركة، ويشده إلى الحركة العامة تيار قوي ناتج عن تعاضد عامل الدعوة وعامل الدولة.

يقظة المسلم الفاتر ونهضة المسلم المنحل قليل الإنتاج والمعرفة تمت بالفعل في إيران في هذه المرحلة الأولى من مراحل القومية تحت قيادة هؤلاء «الحلمين» العبقريين. «الأخلاقية» الإسلامية كانت الفكرة والقبس، كانت الباعث والمثل الأعلى. والآن دخلت الحركة الإيرانية طور الإنجاز. أدى الحماس المعدي الفوار دوره وبقيت العقبة الرئيسية. عقبة التغيير الفعلي لأعماق الذهنية والعادات والدوافع الأنانية. المهمة عويصة والعوائق من داخل الشعب وخارجه شاقة. المقاومة من الداخل تتمثل في الترسبات المزمنة والموروثة وفي تشكيل الذهنية الغربية عن الشيوعيين والبراليين، وفي التنظيمات المسلحة المنشقة، وفي تشتت السلطة بعد انكسار الطاغوت.

فهل في فكر الشيخ القائد ما يعطينا نظرة عن نواياه ونظراته إلى الواقع على أنه مجال معقد يستدعي تعقده جمع القدرات والتنظيم العقلاني والتخطيط؟ نعم.

يقول الشيخ (ص 133): «وعلينا أن نستفيد من ذوي الاختصاص العلمي والفني فيما يتعلق بالأعمال الإدارية والإحصائية والتنظيمية. وأما ما يتعلق بالإدارة العليا للدولة وبشؤون بسط العدالة وتوفير الأمن وإقرار الروابط الاجتماعية والعدالة والقضاء والحكم بين الناس بالعدل فذلك ما يختص به الفقيه، ويفني فيه كل أيام حياته، وهو يملك ما يحفظ للناس حريتهم واستقلالهم وتقدمهم ضمن سياسة مستقيمة لا نفوذ فيها لأجنبي ولا انحراف فيها إلى يمين أو يسار».

التخطيط الإداري والاقتصادي يريد كفاءات تقنية، أما ضبط المسار العام فلا بد فيه من اجتماع الكفاءتين، كفاءة رجل الدعوة المهيمن على الموقف يملي على المنفذ خطوط الشريعة ليثبتها هذا على لوحة الواقع إنجازات تحقق الاستقلال والحرية والعدل والأمن.

يوصي الشيخ طلبة العلم أن يتضامنوا مع ذوي الكفاءات من طلاب الحرية لما يعلم أن دواليب الدولة لا بد لتسييرها من أهل المروءات المشتتين في صفوف الأحزاب الوطنية، والذين لا بد للدعوة الإسلامية الشاملة أن تستقطبهم عندما يفهمون أن الشعب لن يعترف بهم أبدا ما داموا لا يدينون بالولاء التام للشريعة ورب الشريعة.

يقول (ص 134): «اخرجوا من عزلتكم، وأكملوا برامجكم الدراسية والإرشادية واركبوا الصعاب في سبيل ذلك. وخططوا للحكومة الإسلامية، وتقدموا في خططكم وكونوا في ذلك يدا مع كل من يطالب

بالحرية والاستقلال. فإنكم ستصلون إلى أهدافكم يقينا. اعتمدوا على أنفسكم. وأنتم ستزيد خبرتكم وتجاربكم في طريق نضالكم الذي يربع الاستعمار ويرهبه. وأنا على يقين أنكم قادرون على إدارة دفة الحكم عند تقويض أسس الجور والظلم والعدوان. وكل ما تحتاجون إليه من قوانين ونظم فهو موجود في إسلامنا. سواء في ذلك ما يتصل بإدارة الدولة والضرائب والحقوق والعقوبات وغيرها، لا حاجة بكم إلى تشريع جديد، عليكم أن تنفذوا فقط ما شرع لكم، وهذا يوفر عليكم كثير من الوقت والجهد، ويغنيكم عن استعارة قوانين من شرق أو غرب. كل شيء - والله الحمد- جاهز للاستعمال، ويبقى تنظيم الوزارات واختصاصاتها وأعمالها ووظائفها، وذلك يتم على أيدي الاختصاصيين بأسرع وقت».

هذا ما كتبه الشيخ منذ عشر سنوات يشجع طلبته، وما كان ينتظر أو ينتظر أحد أن تؤول الأمور إلى يده ويد إخوته الفقهاء بهذه السرعة، ولست أدري رأيه وهو في دوامة التطورات العنيفة المعقدة التي تعيشها إيران. ولعل متاعب إخواننا المؤمنين بإيران تقل شيئا غير يسير لو لم تقم لمعارضتهم وتعثيرهم القومية العربية المثيرة للحمية المفرقة. إن العرب القوميون لا يطلبون أقل من أن يعطى إقليم عربستان (المحمدة) استقلاله مع العلم أن نفط إيران يوجد بهذا الإقليم، وحدة المسلمين هي الحل لهذا الاستيحاء القومي ولكل آفاقنا في دار الإسلام بمشارك الأرض ومغارها.

القدس ووحدة المسلمين

وإلى هذه الوحدة يدعو الشيخ الصالح ولها يخطط، وقد أعلن نيته هذه والتزامه بتحرير فلسطين. ولعل الله يجعل المسجد الأقصى، وقد أثار فيه عبادا له من الصهاينة سوطا على عصياننا لأمره وتعطينا لشريعته،

سببا لجمع كلمة المسلمين بضرورة الجهاد الموحد لتحريره.

يقول الشيخ في كتابه (ص 111): «لقد أحرقوا المسجد الأقصى! ونحن نصرخ: دعوا آثار الجريمة قائمة! في حين يفتح نظام الشاه اكتتابا في البنوك لإعادة بناء وترميم الأقصى. وعن هذا الطريق يملأ جيوبه وخزائنه ويزيد في أرصده، وبعد ترميم المسجد يكون قد غطى وستر كل آثار الجريمة الصهيونية».

شتان بين عقلية وعقلية وبين إرادة من ينتهي همه عند جمع الاكتتابات «لتغطية آثار العدوان» والذي يريد أن يلهب مشاعر المسلمين قاطبة بإبقاء هذه الآثار ماثلة تنادي المسلمين وتلعن تحاذلهم وقعودهم!

لهذا الفرق الشاسع في العقلية والإرادة فإن العاقبة للمتقين، ولن يكون توحيد المسلمين على يد قاداته من الأغيار العاملين بفكر أجنبي ونية غير مخلصه وعقيدة مشبوهة أو كافرة. لن تتم وحدة المسلمين إلا على يد قيادات ربانية يبعثها الله إن شاء كما شاء لغد الإسلام المشرق بحول الله.

يقول الشيخ في وصف تشبث الأمة (ص 34): «جزأ الاستعمار وطننا، وحول المسلمين إلى شعوب، وعند ظهور الدولة العثمانية كدولة موحدة سعى المستعمرون في تفتيتها. لقد تحالف الروس والانكليز وحلفاؤهم وحاربوا العثمانية ثم تقاسموا الغنائم كما تعلمون، ونحن لا ننكر أن أكثر حكام الدولة العثمانية كانت تنقصهم الكفاءة والجدارة والأهلية، وبعضهم كان مليئا بالفساد، وكثير منهم كانوا يحكمون الناس حكما ملكيا مطلقا. ومع ذلك كان المستعمرون يخشون أن يتسلم بعض ذوي الإصلاح والأهلية من الناس، وبمعونة الناس، منصة قيادة الدولة العثمانية على وحدتها وقوتها وثرواتها فيدود كل آمال الاستعماريين وأحلامهم. لهذا السبب ما لبثت الحرب العالمية الأولى أن انتهت حتى

قسموا البلاد إلى دويلات كثيرة، وجعلوا كل دويلة منها عميلاً لهم، ومع ذلك فقد خرج قسم من هذه الدويلات بعد ذلك عن قبضة الاستعمار وعملائه.

ويدعو الشيخ في آخر كتابه الله عز وجل أن يوحد كلمة المسلمين، وبهذه الخاتمة ندرك أن الفكرة المسيطرة عليه هي نهضة الإسلام لا نهضة شعب واحد من شعوبه، والكتاب كله ينضج بهذه الفكرة.

يقول الشيخ وهو آخر كلامه: «اللهم كف عنا أيدي الظالمين، واقطع دابر الحكام الجائرين، وابعث العدل والرحمة والرفقة واليقظة في نفوس حكام المسلمين، ليعملوا في صالح شعوبهم، ويتركوا ما هم عليه من الأثرة.

ووفق الشباب والمثقفين والجامعيين إلى تطبيق أهداف الإسلام المقدسة. واجعل المسلمين جميعاً صفاً واحداً ليتخلصوا ويخلصوا أمتهم والعالم أجمع من براثن التخلف وآثار الاستعمار، ووفقهم للدفاع عن وطنهم صفاً كأنهم بنیان مرصوص.

ووفق اللهم الفقهاء وطلاب علوم الدين للعلم والهدى والعمل الصالح، وأنجح مساعيهم في تأسيس الحكومة الإسلامية الراشدة إنك ولي التوفيق.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

ع.ي

بسم الله الرحمن الرحيم

منبر الوعظ

الصلاة

علي سقراط

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ازْكُرُوا مَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾ (سورة الحج: 77). يتوجه الخطاب الإلهي إلى الأمة المحمدية المسلمة بتكاليف دعوتها، وتحمل أعباء دينها، برحمة ورفق وقوة. ويأمر الذين آمنوا بالركوع والسجود، ومعناه إقامة الصلاة، ثم ثنى بالأمر العام بالعبادة وهي أشمل من الصلاة، عبادة الله تعالى تشمل الصلاة وتشمل الفرائض كلها، وتعم كل طاعة وكل عمل أو حركة يتوجه بها الفرد إلى الله ويقرب بها إليه.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها». قلت، ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال: حدثني بهذه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولو استزدته لزداني». رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين وهي الحد الفاصل بين الإسلام والكفر.

الصلاة فريضة لا يجحد وجوبها إلا كافر مارق من الدين.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة». رواه أحمد ومسلم. وقال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة». وعن بردة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر». رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وقالحديث حسن صحيح.

وفيا رواه البخاري ومسلم عن غير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت».

وتاركوا الصلاة نرجو لهم الرجوع إلى صف إخوانهم المؤمنين، وندعوهم إلى المبادرة لإقامة الصلاة، والتوبة الصادقة. ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة: 74)، ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة: 39).

إنهم حقا يعلمون علم اليقين أنهم على خطأ وأنهم في طريق الضلال، ندعوهم إلى الخير وقبول الموعدة، ندعوهم إلى التوبة، والتوبة إلى ما عند الله، فما هي إلا عزم وحزم وامتنال، ثم الهجرة إلى رضى الله وإلى إقامة الصلاة. والهجرة تتم بالصبر وكسر قيود العادات، ومخالفة النفس والشيطان، وبذل الجهد لأنها مرحلة تحول الإنسان من إنسان وضيع تارك الصلاة، مترد في الكفر والشرك إلى إنسان مؤمن يقيم الصلاة، ويؤدي ما وجب عليه، ويسمو بروحانيته إلى مقام التكريم والتفضيل.

أهل تضييع وتفريط

من الناس من هو مشغول بأمره عن أمر ربه، مفتون بما يحيط به من متاع الدنيا الزائل، يدخل في صلاته ما ليس منها من حديث النفس والوسوسة، وسوسة النفس بشهواتها، وسوسة الشيطان بخدعه وكيده، والإنسان في هذا المجال غير معذور إذا ترك المجاهدة في رد كيد هذين العدوين: النفس والشيطان، كي لا يعد من أهل التضييع والتفريط اللذين هما في المشيئة موقوفان بين عذاب ورحمة.

هذه الطائفة أو هذا الصنف من الناس، وإن كانوا يصلون فهم في دوام الكسل والفتور، لا يعيرون للمحافظة على الوقت اهتماما، ولا يخصصون لحضور الجماعة أوقاتا، ولا يعطون من أنفسهم لله كثيرا ولا قليلا، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (سورة الكهف: 104)، وإذا صلوا وضيعوا صلاتهم ترد عليهم، ويضرب بها على وجوههم.

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى الصلوات لوقتها، وأسبغ لها وضوءها، وأتم لها قيامها، وخشوعها، وركوعها، وسجودها، خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتني، ومن صلاها لغير وقتها، ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها، ولا ركوعها، ولا سجودها، خرجت وهي سوداء مظلمة تقول: ضيعك الله كما ضيعتني، حتى إذا كانت حيث شاء الله، لفت كما يلف الثوب الخلق، ثم ضرب بها وجهه». رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي الدرداء وغيره.

نستقي من الحديث الشريف كيفية الصلاة، وعلى أية صورة يجب أن تؤدي لتكون بيضاء مسفرة مقبولة، تفتح لها أبواب السماء، ذلك هو إسباغ الوضوء أولا، والمحافظة على مواقيتها، والقيام التام لها، وإتمام

الركوع والسجود، كل ذلك مع الخشوع والوقوف بين يديه تعالى بذل وخضوع وانكسار وابتهاال، وإلا كانت صلاة مظلمة تغلق دونها أبواب السماء، وتلف كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه مضيعها.

ونبه الذي لا يقيم للاعتدال والاطمئنان وزنا إلى أخطائه، تراه يركع فلا ينحي حتى يرفع رأسه ويخر ساجدا رافعا رأسه في طرفة عين، وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننقرها نقر الديكة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث، ونهاني عن ثلاث، نهاني عن نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب». رواه أحمد وأبو يعلى وإسناد أحمد حسن ورواه ابن أبي شيبة وقال: كإقعاء القرد مكان الكلب.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، قالوا: يا رسول الله كيف يسرق من صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها، أو قال: لا يقيم صلبه في الركوع والسجود». رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

ولو خصصت التلفزة حصصا لتوعية المسلمين ولتعليمهم دينهم بالوسائل المحسنة، لاستدراك النقص الواقع من إخواننا إما عن جهل أو غفلة لأدت بعض الواجب، ولكن ذلك أولى لها من عرض برامج كلها انحلال خلقي وتحرر، وفتنة وافتتان.

أهل المجاهدة:

ومن الناس أهل المجاهدة، وفي الجهد تكفير السيئات، ومحو الخطيئات تقابل الصلوات تلك السيئات فتمحوها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فكذاك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا». رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ورواه ابن ماجه من حديث عثمان.

وعن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن، ما لم تغش الكبائر». رواه مسلم والترمذي وغيرهما.

إذا كانت الصلوات الخمس تطهرنا من الأردان، فلم لا نحافظ عليها، ونقوي بها ارتباطنا بالله، فالصلاة تربط العبد بربه، وتقوده إلى رضوانه، وتمهد له الطريق إلى العناية الربانية، وتفضي به إلى ساحة الرضوان ليتكفل الله به ويرعاه، وليسعد في دنياه وأخراه.

المقربون والمحسنون:

هؤلاء هم المقبلون على الله، المشتغلون بجلاله وعظمته ومجده، المقبلون على الله بقلوبهم، في صلاتهم وفي خارج صلاتهم، الذاكرون الله كثيرا في كل أوقاتهم، وفي مختلف أحوالهم، فهم في حضور دائم مع الله، والصلوة الشرعية إنما هي مشاركتهم للأعضاء في الطاعة والامتثال، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (سورة الماعراج: 23) أي محافظون على أوقاتها وواجباتها، وقيل المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (سورة المؤمنون: 2-1).

هؤلاء المقربون وأهل الصفاء، يحبون الله، ويحبهم الله، والله يحب المحسنين، يقيمون الصلاة بكل ما في الإقامة من معنى، بوضوئها

ومواقبتها، وحدودها، والحضور في المسجد لأدائها مع جماعة المؤمنين، وهو ما أكد عليه الشارع. قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (سورة البقرة: 43)، أمر الله تعالى أهل الكتاب أن يصلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأن يدفعوا الزكاة، وأن يركعوا مع الراكعين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن يكونوا مع المؤمنين ومنهم، من أحسن أعمالهم، ومن أخص تلك الأعمال وأكملها الصلاة، واستدل كثير من العلماء على وجوب الجماعة بهذه الآية. وخطاب الآية وإن كان موجهاً لأهل الكتاب، فإنهم لم يقصدوا به على سبيل التخصيص، وإنما هو عام لهم ولغيرهم من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هؤلاء أهل الله عمار المساجد. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ»، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْزَّمُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة التوبة: 18). رواه الترمذي واللفظ له، وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحهما، والحاكم.

ونحن نود من الذين يكفرون من يلج المساجد، أن يترثوا في حكمهم ويتوبوا من سوء الظن بعباد الله، ويتدبروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها». رواه مسلم.

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم لجبريل: أي البقاع خير؟ قال: لا أدري، قال: فاسأل عن ذلك ربك عز وجل، قال: فبكى جبريل عليه السلام، وقال: يا محمد، ولنا

أن نسأله؟ هو الذي يخبرنا بما يشاء، فعرج إلى السماء، ثم أتاه فقال: خير البقاع بيوت الله في الأرض، قال: فأبي البقاع شر؟ فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال: شر البقاع الأسواق». رواه الطبراني في الأوسط.

إذا كانت المساجد خير البقاع، فبأي حق يكفر من يكفر عمارها، وبأي حق ينكر عليهم ذكر الله فيها! ويتغافل الذين يقضون زهرات أوقاتهم في المقهى. وما هم بكفار أيضا، إنما هم غافلون عن الله.

إن الرجل الذي يكون قلبه معلقا بالمساجد يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شاله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه». رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

والسلام عليكم ورحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

تجربتي في حقل الدعوة

عبد الكريم الهلالي

الحمد لله الذي لا ينبغي الحمد إلا له، والصلاة والسلام على خاتم النبوة والرسالة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

تعيش الأمة الإسلامية اليوم في فقر وجهل وانحلال خلقي وضعف في العقيدة واضطراب في الشخصية.

وما كان يكون هذا الذي أصاب الأمة من الويلات والمصائب لو لم يتخل العلماء عن المهمة التي خلقوا من أجلها واستحقوا بها خلافة الأنبياء والرسل في الأرض. لكنهم أضاعوا الأمانة، ركنوا إلى الدنيا فتنافسوها، فمن دور إلى قصور، ومن فيلات إلى ضيعات، ومن شهوة إلى أخرى، ونسوا الدار الأخرى.

إن كاتب هذه السطور ليس من العلماء ولا من الفقهاء، وإنما حر في يعمل بالنجارة يتقطع قلبه ألماً وحسرة على ما أصاب الأمة من انحلال في الأخلاق، وإتلاف للرجولة، وضياع للمروءة، وهجران للدين. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم حسب رواية سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال لعلي رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم». متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً». رواه مسلم.

ومن هنا انطلقت وأعطيت الوعد لنفسي بأن لا أترك الفرصة تمر،

ففي شهر رمضان من السنة الماضي دخلت المسجد على أساس المذاكرة في الدين مع المؤمنين، وقبل البداية في الحديث الأول أوضحت لهم أنني لست عالماً وإنما أنا متطوع ومعني القليل من العلم والقرآن، وما كان لي أن أتناول على هذا المقام لولا فراغ المساجد.

وحدثتهم عن الإيمان وعن المحبة لله ولرسوله وللمؤمنين، وانسجمت معهم انسجاماً لا أدري كيف فتح الله فيه.

جاء في الحديث عن يحيى بن يحيى التميمي وأبي بكر بن شيبه ومحمد بن العلاء الهمداني (واللفظ ليحيى) قال يحيى أخبرنا، وقال الآخران حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه». رواه مسلم.

نعم أحسست بالسكينة وتلمست الرحمة فوجدتها في استجابة المؤمنين وفي تجاوبهم معي، وبقينا على هذه الحالة بضعة أيام أخرجت على أثرها من المسجد (بقوة) بالقوة من طرف مقدم الحي الذي ساقني ومساعدته إلى الدائرة التي سيقدر فيها مصيري أسجن على هذا الذنب أم يطلق سراحي؟ وبما أنه ليس ثمة قانون يث في القضية خلوا سبيلي ولكن على شرط اللا مذاكرة في المسجد مع المؤمنين، وكان من الممكن أن أقبع في بيتي واكتفي بوعظ نفسي، لولا حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم المروري

من طريق أبي هريرة رضي الله عنه الذي يقول فيه: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار». رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن.

وبعد تردد رجعت إلى نفسي ألومها إذا كان لي أن أخشى أحدا فالله أحق أن أخشاه إن كنت مؤمنا، وعزمت وتوكلت على الحي الذي لا يموت ودخلت مسجدا آخر وبقيت فيه مع المؤمنين سبعة أيام نجتمع على حب الله ورسوله والنصيحة لهما وللمؤمنين وفي الليلة الأخيرة جاءني مقدم الحي يطلب مني مغادرة المسجد فامتنعت وحجتي في ذلك أن المساجد لله وليست ملكا لأحد حتى يمكنه أن يتصرف فيها كيف يشاء، وثانيا أنني لا أستعمل المسجد لترويج سلعة ما، وإنما بضاعتي كتاب الله وسنة رسوله، فلما رأى صمودي وإصراري أخبر المسؤولين وطردت من المسجد كأول مرة وأنا أردد قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة البقرة: 114) صدق الله العظيم.

وفي هذه المرة انتقلت إلى البادية بعد أن جاءني الطلب من أصحابها فليبتته بفرح ودخلت المسجد وفتح الله كما عودني، وامتلا المسجد عن آخره وبقيت أحدثهم حتى صلاة العشاء وكلما أردت ختم المجلس طلبوا المزيد، وبعد الصلاة اتفقت معهم على الاستمرار أسبوعيا. وبقينا على حالنا هذا وبدلت كيفية إلقاء الدرس وجعلته مفتوحا يسألون وأجيب وأسأل ويجيبون. فما أشد ما كان اندهاشي لم أكن أتصور أن قرية بأجمعها لا تتقن قراءة الفاتحة ولا تخرج الزكاة ولا تعرف من دينها لا الكثير ولا اليسير.

سؤال: من المسؤول عن ضياع الدين؟

من ناحية الشعب فهو مستعد ومتعطش ومستجيب لطلب العلم والإيمان والصلاح، والدليل هو عمارته المساجد، من ناحية العلماء إعراض وتكبر وترفع

وتضييع للأمانة فيا وليهم يوم القيامة حيث لا تنفع الندامة. ومن ناحية المسؤولين فقد أعلنوها حربا على رجال الدعوة، ويعرقلون بذلك تقدم الأمة.

وأخيرا أوجه أسئلتى هذه لمؤتمر العلماء أم لوزارة الأوقاف؟ بواسطة الإذاعة أم بواسطة مجلتكم الميثاق؟

ولكن فضلت أن أبعثها صرخة من أعلى منبر الجماعة لعل كلماتي هذه تجد من علمائنا آذانا صاغية ومن حكامنا قلوبا واعية.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾.

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

شوكة الإسلام

أحمد الملاح

فقه المقال.

قال الله تعالى:

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ
مُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُكُمُ
اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾. (سورة الأنفال: 5 - 8).

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾:

* يحبون أن الطائفة التي لا حد لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم، وهي العير. والخروج الذي أعقبته غزوة بدر كان للتعرض لها.

* والله يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم وينصركم عليهم ويظهر دينه ويرفع كلمة الإسلام.

«يجادلونك في الحق» قال قتادة: في القتال، وقال محمد بن إسحاق: أي كراهية للقاء المشركين. والخبر عن أهل الإيثار كما قال ابن عباس:

وابن اسحاق. ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: 216).

«تفسير ابن كثير».

كرهت طائفة من المؤمنين القتال، وجادلت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلت الحل السهل لأنها لم تخرج مستعدة لمواجهة الطائفة ذات الشوكة وهم النفير الذين هبوا للدفاع عن غيرهم مستعدين أتم الاستعداد.

هذه نزعة بشرية: اختيار الحل الأسهل وكرهية الشدائد. والإيمان وحده دون تربية جهادية تجعل الإنسان ميالاً إلى الاستكانة والخمول، وبالتالي يخطئ الصواب في الاختيار.

إحقاق الحق وإبطال الباطل يتطلبان جعل إرادة الإنسان وعزيمته مطابقة لإرادة الله سبحانه مهما كانت الصعوبات والعقبات التي تعترضه.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المهاجرين والأنصار طالبين العير، عير قريش. وكان من اليسير الظفر بالغنيمة، لكن إرادة الله تعالى جعلت من الموقف امتحاناً للعزيمة وشحذاً للإرادة. الموقف يتطلب اختيارين: العير أو النفير.

علمت قريش محاصرة المسلمين لعيرها فهبت لتحميها وتنقد تجارتها، فسار الخبر للرسول ووقف مستشيراً أصحابه في الملاء:

قام أبو بكر فقال، فأحسن.

قام عمر فقال، فأحسن.

ثم قام المقداد بن عمر وقال:

«يا رسول الله امض لما أمرك الله به، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾»

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت إلى ربك الغماد (مدينة في الحبشة) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه».

فقال رسول الله: «أشيروا علي أيها الناس».

قال سعد بن معاذ (وهو من الأنصار): «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟»

قال صلى الله عليه وسلم: أجل

قال: «فقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أمرك الله، فوالله الذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا عدونا غدا، إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله».

سر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا القول ثم قال: «سيروا على بركة الله وابشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم».

قال الله تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة الفتح: 16).

أولو البأس الشديد:

اختلفت الروايات فيهم. قال قتادة: هوازن، وقال الضحاك: ثقيف، وقال جبير: بنو حنيفة، وقال ابن عباس: أهل فارس، وقال كعب: الروم، وقال الزهري: لم يأت أولئك بعد.

فإذا انطلقنا من أن القرآن يخاطب المؤمنين كلهم في زمنهم وظروفهم الخاصة، إذ صلاحية الأحكام والمبادئ التي وضعها الله تعالى لا يحده زمن ولا مكان ولا تحد بظروف تاريخية، وإذا ما اعتبرنا أن أسباب النزول ما هي إلا مناسبة لتوضيح ما أراد الله تشريعه، أصبح مفروضا علينا الالتزام بما أقره الله تعالى لأننا نحن المعنون بالأمر قبل غيرنا. ولن نذهب في تفسير أولي البأس الشديد بأنها القوة الصهيونية والامبريالية العالمية وربطها بقضية القدس فقط، لأن ذلك التأويل، وإن كان يوضح واقعا، يبقى مطروفا ونسبيا.

إن أفضل تفسير هو تفسير القرآن بالقرآن كما قال ابن تيمية. أمر الله المسلمين قبل بدر باختيار إما موقف العزم أو موقف التخاذل. وأمرهم قبل صلح الحديبية بعدم الاندفاع مع القوة حتى لا تصبح عنفا وحتى يسبق الفتح دعوة رحيمة قبل الرسول صلى الله عليه وسلم شروطا ما كان عمر ليخضع لها لولا الإيثار بالغيب وقبوله مبدأ الفهم عن الله والتربية.

كان البأس والقوة والشدة في جانب الكفر، وأراد الله أن تصبح الشوكة للإسلام لا بفعل إلهي غيبي لكن بإرادة مؤمنة مجاهدة ذات عزم وتوكل على الله. قاعدة كونية ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (سورة البقرة: 251). هذا الكسب البشري ليس محصنا بتأييد غيبي مستمر يجعل الإنسان في مأمن من كل غزو ومطامع. لكنه يستدعي يقظة وتنبها وتحضرا لما هو محتمل. لقد أنعم الله على المؤمنين بنصره وتأييده فجعل القوة والبأس بجانبهم حينما حافظوا على أسسها ومبادئها: الإيمان والعدل، المحبة والوحدة، التكريم بالتقوى لا بالعصبية

والمحسوبية... ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 53).

أنعم الله على الأمة الإسلامية بأن جعلها «خير أمة» حينما خرجت للناس
بقلب رحيم وإرادة قوية، حينما كانت تستعمل القوة في موضعها لتنشر الرحمة
على العالمين، وحينما كانت تقوم بشروط الدعوة كاملة غير ناقصة، تأمر
بالمعروف وتنهى عن المنكر. لكن حينما أصبح بأسها بينها شديدا، وتحولت
القوة عنفا، والعدل ظلما، والدعوة الرحيمة تعصبا، بعث الله عليها عبادا له
أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار بيئاتهم وهم نائمون، ضحى وهم يلعبون
أو قائلون ليتضرعوا أو يقولوا: إنا كنا ظالمين.

التتار، الصليبيون، الإسبان، الاستعمار الأوربي، الصهيونية في القدس،
الزحف الأحمر: أقوام أولوبأس تسلطوا على المخلفين من الأعراب ولا
يزالون حتى يخرج العرب من أعرابيتهم، ومن حمية الجاهلية، وحتى يبرز مثل
صلاح الدين ويوسف بن تاشفين، والأمير عبد القادر، وعبد الكريم الريفي،
والمهدي السوداني، وأحمد السنوسي، إليغيرهم من آيات الله في إيران...

العالم في صراع على الزعامة اليوم والسيطرة على الأجزاء الضعيفة وهو في
حاجة إلى قيادة منقذة تستعمل البأس والقوة في جانب الحق. الإسلام يبحث
عن شوكة ترفع عنه المذلة والهوان.

روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث حذيفة رضي الله
عنه أنه قال: كان الناس يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخير،
وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله: إنا كنا
في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال:

«نعم»، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما ذخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني يا رسول الله إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

الإسلام الخير جعل حدا فاصلا بين الجاهلية التي هي عنف وعصبية وجهل بالله، وبين عهد النبوة الذي هو رحمة وتوحيد، توحيد الإنسانية كلها في حقوق واحدة، في هداية واحدة، في إيمان بالله واحد لا إله إلا هو ولا رب لكل البشر سواه، يتساوى الناس جميعا بين يديه ولا يمتيازون إلا بمقدار ما يقدمون للإنسانية من خير وسلام، ولا يمتيازون بغير الفضل والصلاح والعدل والمساواة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات: 13).

ذهبت النبوة والخلافة على منهاج النبوة التي انتهت بشر الفتنة التي أوقدها أعداء الإسلام بين الإمام علي ومعاوية رضي الله عنهما. فهذا أول شر أصاب الإسلام. انتهى بتثبيت الملك العاض أيام الأمويين والعباسيين إلى أن انتهى بالقضاء على الخلافة العثمانية التي كانت تمثل قوة منيعة في وجه المستعمرين. وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الفترة في هذا الحديث «خير وفيه دخن» وهذه هي الفترة الموجودة بين عهد أخبر القرآن عنه وكانت فيه الأمة «خير أمة أخرجت للناس»، وبين العهد الذي ستتجلى إن شاء الله في إرادته علي يد الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر. لقد أمر الله عباده: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (سورة آل

عمران: 104) هذه هي الدعوة المربية الجامعة لمن تفرق من المؤمنين.

الملك العاض «خير وفيه دخن» أي فساد، ودخنه ظهور طبقة في المجتمع الإسلامي تركت الخلافة على منهاج النبوة وابتدعت سننا في الحكم غير إسلامية، واتبعت هواها وملذاتها، وتركت هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، تعرف منهم وتنكر، تبدي الهداية وتخاف لوم الناس، وتخفي الفجور والفسوق.

ابتدع الحكام ما أفسد الدولة الإسلامية، وزاغوا عن العدل الإسلامي، وترك العلماء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتملقوا إلى الحكام. وكان من الطبيعي جدا أن تظهر بدع في الأمة التي لا تصلح إلا بصلاح هذين الصنفين. ورغم هذا لم يعم الفساد الجميع. بقي في طبقة الحكام ملوك حاولوا إصلاح ما استطاعوا، وظهر أولوا بقية من العلماء نهوا من فسق عن أمر ربه عن الفساد.

لكن بعد هذه الفترة التي تميزت عن التي تليها ببقاء بعض معالم الخير، يأتي زمن «الدعاة على أبواب جهنم»، وهي الفترة التي تهب إلى رجوع الخير كله، وهو الخلافة على منهاج النبوة. هؤلاء الدعاة هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، هم دعاة القومية التي تنكر الدين وتحاربه، هم دعاة الإلحاد والكفر، هم دعاة الإباحية والمروق عن الدين، امتاز بهم زمن الملك الجبري الذي بدأ بانتهاك الخلافة العثمانية، والذي صنعه مخطط استعماري ساعده على ذلك قوميون يحقدون على الإسلام والمسلمين.

ظهرت في زمن الفتنة جماعات مؤمنة وداعية إياها مجاهدة لدفع الخطر عن المسلمين أيام الحروب الصليبية والاستعمارية، جماعات يقودها إمام مجاهد، التفت حوله قلوب محسنة، فكانت حصونا متفرقة استطاعت أن تقف أمام المد الاستعماري في بلدان متفرقة من العالم الإسلامي. وبجانبا ظهر من اعتزل الفرق كلها وانعزل وفر بدينه لغياب

الإمام المجاهد والقيادة الموحدة. لما غاب الجهاد عن الساحة الإسلامية والاهتمام بأمر المسلمين، ظهر هذا النزوع إلى الانزواء وصناعة الأوراد، والاهتمام بخبايا النفس.

لكن ظهر على المستوى الفكري نظريات العلماء لمحاولة إصلاح الحكام، فانفرد بعض المفكرين المسلمين بنظريات سياسية اجتهدوا فيها لتقريب الحكام من تطبيق مبادئ الإسلام في الحكم، وحثهم على الدفاع عن مكتسباته، ورد الطامعين والمغيرين على ترابه. وما كان لهم أن يتقربوا من الملوك إلا طمعا في تقوية الصف، وتوحيد الكلمة، وتجنيد الطاقات حتى تكون للإسلام شوكة تصونه من التفرقة في الداخل، وتحفظ على مكانته في الساحة العالمية.

فاجتهاداتهم كانت اجتهادات علماء في عهد الملك العاض، في عهد خلافة، وإن كانت صورية مستبدة وظالمة، ما قبلت قط الإهانة وتقسيم العالم الإسلامي إلا ما انتزع منها في فترات ضعفها. كانت اجتهادات من رأى أن أسبقية الأسبقيات المحافظة على الوحدة قبل الاهتمام بالعدل والحكم، لكن في مستوى عالمي لا على مستوى الوطنيات.

شوكة الإسلام كمفهوم

نستعير هذا المصطلح من الغزالي، ونقصد به القوة المادية والمعنوية التي من شأنها أن تدفع المسلمين إلى اليقظة وامتلاك ناصية أمورهم، والسيطرة على إمكانياتهم، لتكون الأرضية الفسيحة لالتقاء كل الشعوب الإسلامية في وحدة تذيب الخلافات المذهبية، وتقاوم كل أنواع الكيد بالإسلام الحق دون الالتفات إلى لون أو عرق أو لغة من يرفع شعارها، وإن كان العرب

هم أحق الأقوام في رفع شعار التوحيد الإسلامي، فإن ذلك يتطلب منهم تجاوزاً لعقلية عن شعور عميق متأصل في الأمة، متصل بالإسلام كقوة عائدة وسياسية واجتماعية.

إن ارتباط الأمة العربية بالإسلام ارتباط عضوي لا سبيل لانفصاله، واللغة العربية هي أكبر عوامل الوحدة باعتبارها لغة القرآن والصلاة، وأقدر الوسائل على نشر الإسلام والدعوة إليه. لكن حمل لواء القيادة يرجع إلى أقدر الشعوب الإسلامية عليه وأكثرها استحقاقاً له دون اعتبار الفوارق بين جنس وجنس. بعد سقوط الخلافة العباسية عام 656 هـ تقبل العرب المسلمون الوحدة السياسية، وانضوا إليها دون مركب نقص ولا تعقيد ولا خصومة. ولم تظهر مشكلة السيادة العربية والاحتلال العثماني إلا بعد ظهور «القومية» التي اجتاحت أوروبا ونقلها النفوذ الاستعماري إلى العلم الإسلامي حرصاً منه على تمزيق الوحدة الإسلامية، والسيطرة على الأجزاء واقتسامها.

نحن لا نجادل في أن الأمة العربية هي أجدر الأمم على حمل رسالة الإسلام، وأرض مقدساتها، ومعقل الدعوات الصادقة، وأقدر الأمم على فهم القرآن واستيعاب مقاصده، لكن إعطاؤها هذا الحق دون استحقاق، وجعل الانفصال العربي عن الدعوة الإسلامية العالمية في إقليمية داخل حدود ثقافية، أو مفاهيم حضارية، أو اتجاه إيديولوجي معين، لن يساعد على التخلص من اللعبة التي خدع بها الغرب العرب، إذ وعدهم بتكوين دولة عربية إن ساعدوه على إسقاط الخلافة العثمانية.

فإذا كان مخطط الاستعمار سعى في ضرب قلب الأمة الإسلامية الذي يتجسد في العرب والمسلمين، وذلك بإنشاء دويلات عربية لها كيان ذاتي مستقل، الغرض منه فرض نفوذ صهيوني على فلسطين، ثم قيام دولة يهودية،

ثم احتلال القدس وتهويدها، فإن هذا المخطط لم يقتصر على احتلال البريطانيين والفرنسيين للأراضي العربية، لكن المهم بالنسبة إليه هو إضعاف شوكة المسلمين، وتشتيت قوته التي تركزت في خليفة جمع شعور مسلمي الهند وأندونيسيا ومختلف أنحاء العالم.

وإذا أردنا أن نفهم تخوفات الغرب من الحركة الإيرانية، والباكستانية، والأفغانية، وتقربه من العرب، وربما استعداده لحل المشكل الفلسطيني، ثم إغراؤه لبعض الدول الإسلامية في إنشاء تيار يعاكس النفس الجديد للإسلام، وحملاته المسعورة، وأبحاثه المشبوهة حول الإسلام والتقدم، واتهامه الإسلام الشيعي بالرجوع إلى القرون الوسطى، وتجنيد الإسلام السني ليقاتل به الإسلام الشيعي، فما علينا إلا أن نستفيد من دروس لعبته القديمة الساذجة التي هيأت مجيء القوميين من أمثال أتاتورك، وعبد ناصر، والتي عفا عليها الزمان لأننا على أبواب جمع القوة وحد الطغيان.

لنرجع إلى مفهوم الغزالي فهو يعتبر أن إقامة الإمامة شرط لإقامة الدين، فتعطيلها يؤدي إلى فساد الولايات وبطلان قضاء القضاة، وضياع حقوق الله وحدوده، وإهدار الدماء والفروج والأموال. وضرورته لا تستوجب الاعتقاد بعصمته. «فكما يستغنى عن عصمة الإمام ويحتاج إليه كما يحتاج إلى القضاء وأمور أخرى كلية وسياسية: من حراسة الإسلام والذب عن بيضته..» فالخليفة بالنسبة للغزالي، هو الشخص «الواحد المتبوع المطاع ذو الشوكة التي لا تطاول»، وإذا لم يحصل هذا الغرض إلا لشخصين أو ثلاثة، فلا بد من اتفاقهم، «وليس المقصود أعيان المبايعين، وإنما الغرض قيام شوكة الإمام بالأتباع والأشياء، وذلك يحصل بكل مستول مطاع».

قيام الشوكة لا يتم إلا بجمع شتات الآراء التي لا تتفق إلا إذا

ظهرت شوكة الإمام، وعظمت نجدته وترنحت في النفوس رهبته ومهابته. إن قيام الإسلام مداره على الشوكة، ولا تقوم الشوكة إلا بموافقة الأكثرين من معتبر كل زمان». و«مراد الأئمة بالنجدة ظهور الشوكة وموفور العدة، والاستظهار بالجنود، وعقد الألوية والبنود، والاستمکان بتظافر الأشياع والأتباع من قمع البغاة والطغاة، ومجاهدة الكفرة والعتاة، وتطفئة نائرة الفتن، وحسم مواد المحن قبل أن يظهر شررها وينتشر ضررها».

مقتبسات متفرقة من «فضائح الباطنية»

وقد اعتبر الغزالي أبا العباس أحمد المستظهر بالله، الملك السلجوقي، مؤهلاً لأن يقوم بهذا الدور. وحتى لا يتسرع القارئ في الحكم على أبي حامد، ولكي يدرك عمق تفكيره وإمامه بقضايا عصره، نورد نصين في صنف الحكام والعلماء، أو بتعبيرنا المنهاجي رجال الدعوة، ورجال الدولة في القضية السياسة. يقول الإمام في الإحياء:

«وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد الملوك، وفسد الملوك لفساد العلماء. فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفاً من إنكارهم» ج 2 ص 132.

ويقول في الجزء الثالث من الإحياء:

«إن الأطباء هم العلماء، وقد استولى عليهم المرض، فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه. فلهذا صار الداء عضالاً، والمرض مزمنًا واندرس العلم، وأنكر بالكلية طب القلوب، وأنكر مرضها، وأقبل الخلق على حب الدنيا، وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءات».

المجتمع في حاجة إلى تطييب، بدأ الفساد يعم جسمه المريض، فلا العلماء قاموا بالأمر بالمعروف، ولا الدولة استطاعت أن تربي الأمة بوازع السلطان لأنها ابتعدت عن وازع القرآن. أحس الإمام أن مسؤوليته عظيمة، وأن واجبه يفرض عليه الاضطلاع بأمر التجديد وبعث روح الإسلام في قلوب سكنتها الدنيا فخربتها، وعقول سيطرت عليها التخربات والتعصبات والجدل الفلسفي العقيم. إن الأزمة التي اعترت الغزالي ليست أزمة نفسية وحتى روحية ذاتية شخصية، وإنما بحثه وتنقيته على الحق، انطلاقاً من تجربة تركت وراءها كل حكم مسبق وكل عصبية، كان في إطار محاولته لإحياء الدين في قلوب العامة، وتبديد الأوهام التي سكنت عقول بعض العلماء، وتربية إرادة المترفين من الأمراء، والأجناد لإرجاع القوة إلى دار الإسلام.

جعل الإمام الغزالي العودة إلى القرآن والسنة العمود الفقري لاجتهاده، لكن سعة أفقه مكنته من التوفيق بين علم الكلام والفقه من جهة، وعمق تجربته الروحية جعلته يعترف بالحق للصوفية الصادقين فحاول بناء صرح العقيدة الإسلامية على أساس جدلي يعترف للعقل بفاعليته وللروح بنشاطها، وللنصوص بقيمتها المطلقة في التحكيم حينما يتهافت العقل الحائر أو تشطح النفوس المضطربة. وأن تنقله من نظامية نيسابور إلى نظامية بغداد، ومن منصبه السامي ببغداد سنة 1055 م وانعزاله في طوس مسقط رأسه ثم معاودته للتدريس في نيسابور بطلب من الملك السلجوقي «أخي بركيارق»، ووزيره نظام الملك الأكبر دليل على إرادته في محاولة إخراج العالم الإسلامي مما صار إليه.

معاودته للتدريس مرة بعد أخرى تعبر عن الأمل الذي كان يعلقه على العلماء للنهوض بالدعوة، وقبوله اقتراح السلطان تعبير عن أمله في إقامة شوكة الإسلام تدافع عما تبقى من حصونه، وتهيئه لدور أهم في المستقبل

لكن الإمام كان واحداً، لم يكن جماعة، ترك فكراً وأسلوباً وتربية يتغذى منها من أراد الخروج من فتنة الخلافات والمذاهب.

فمتى يتم توحيد الدعوة وتجاوز خلافاتها واستقلالها عن كل روافد الفتنة، ومتى تقوم دولة تخضع لتوجيه الدعوة وتأنم بها أمر الله ورسوله، وتجتهد لإقامة العدل والإيمان، تكون إذ ذاك شروط قيام شوكة الإسلام قد تهيأت. وما هي إلا مرحلة لقيام الخلافة على منهاج النبوة كما أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا يهم بعد هذا إن كانت لتبتدئ من وحدة إقليمية إسلامية، أو وحدة إسلامية، أو نهضة شاملة تجمع الكل في إطار تنظيمات جزئية تخضع لمبدأ واحد: لا إله إلا الله محمد رسول الله: حاكمية وقيادة.

كيف تم القضاء على شوكة الإسلام

من العرب من يضيق صدره وينطلق لسانه باللوم والشتم إذا ذكرت الخلافة العثمانية، فينعتها «بالاستعمار والاحتلال»، ولا تكاد تتلفظ بالخلافة الأموية أو العباسية حتى يتلأأ وجهه فيذكر العصر الذهبي ولوج الحضارة العربية يوم أهدى هارون الرشيد ساعة آلية إلى شارلومان ملك فرنسا، الذي اعتبرها عملاً سحرياً يجب الاحتياط منه. وربما طال بكما الوقت في سرد لائحة العلماء والحكماء والمفكرين واستعراض ببليوغرافات الخزانات العالمية التي تزخر بكنوز عربية ما زالت بكراً. حالة انفعالية تنم عن شعور قومي صادق وتحنان إلى إرجاع العز للعرب. كل هذا جميل.

ومن الطرف الآخر من العرب من يتمعر وجهه وتشمئز نفسه سواء أذكرت الخلافة العربية الإسلامية أم ذكرت الخلافة العثمانية الإسلامية،

لأنه يريد أن تقتصر على العرب فقط دون ذكر الخلافة الإسلامية ولا العناصر الأخرى التي وجدت في الإسلام الرحمة حياة وأخوة وتضامنا وعزا وكرامة. ويريد أن يرجع أصل الوحدة القومية إلى ما قبل الإسلام، وينعت فترة الإسلام بالتوسع والإمبراطورية مع استثناء فترة ما قبل صفين لينعت جهاد عمر بالتأسف ومحاولات الصحابة في التغيير بصرخات فردية يائسة. يا للبهتان من أقوام يجرون وراء سراب الحضارتين العملاقيين!

متى كانت للعرب وحدة قبل الإسلام؟ ومتى كان ليحسب لهم حساب في الميزان العالمي؟ ألا ترجع هامشية العرب الآن وهوانهم إلى الابتعاد عن الإسلام؟

حركة التعريب

ترك الحديث عن التعريب والترجمة اللذان كادا يكونان مفهوما واحدا عند البعض منا إلى فرصة أخرى حتى نفرق بين الحركة الفكرية المنبثقة عن شخصية جماعية قوية فرضت وجودها على العالم وحركة ثقافية منفصلة تعيش في الظل على الفتات، عالية مستهلكة كل ما أفرزته الجاهلية دونها نقد أو تمييز.

إن التعريب كنشاط لغوي لا يمكن فصله عن الوضعية الفكرية والسياسية والاقتصادية. فحالة اللغة العربية الآن ما هو إلا تعبير عن تبعيتها في هذه الميادين. الاختلاف في منابع الفكر ومصادر القوة أدت إلى الاختلاف في أسلوب الأداء وأداة التعبير. والتخلف في ميدان الاقتصاد والضعف في الوضع السياسي أدى إلى جعل اللغة العربية لغة ثانوية سواء في النشاط العالمي أو حتى في النشاط التثقيفي داخل البلاد.

بعد هذا التأكيد لتساءل عن معنى التعريب. هل هو الأخذ باللغة العربية

من طرف البلاد المفتوحة وجعلها اللغة الأصلية للبلاد المفتوحة إسلاميا كما هو الحال بالنسبة للمغرب؟ فإذا كان هذا هو معنى التعريب فلمن يرجع الفضل فيه؟ أُلغة أم لقوة الفاتحين الروحية ولمضمون رسالتهم العالمية التي أذابت الفروق القبلية واللهجات المفرقة؟ أم التعريب هو ذلك الاندماج العرقي الذي تم بالفعل قبل الإسلام بهجرة جماعات من العرب إلى البلاد الأخرى؟ نعم، إذا كان هذا هو المفهوم الذي نعطيه للتعريب فإنه قد حصل واندثر ولم يعد قادرا على تحريك السواكن ولا إثارة حتى العصبية. امتزجت فلول من العرب بأهل أخرى من غيرهم وتزاوجوا واختلطت الدماء بل غلب أحيانا الدم العربي وأصبح أثر اللغة واضحا في التخاطب، لكنه لم يتمكن من أعماق الناس للسبب الوحيد والجوهري وهو أنه فقد عنصر القوة والتمكن في حياة الأفراد والجماعات، ألا وهو الشعور الإسلامي.

لماذا وقفت حركة التعريب ولم تتمكن اللغة العربية في البلاد المفتوحة إسلاميا بينما دان أهلها للعقيدة والتوحيد واتباع الرسول العربي؟ لماذا استطاع الاستعمار التعريب ولم يستطع أن ينفذ إلى مشاعر المسلمين العميقة؟

استطاعت اللغة العربية أن تتخطى الحدود لما كانت متصلة بالإسلام أيما اتصال، وما كانت الحواجز الجنسية أو الحضارية لتقف أمامها لأنها كانت حاملة لقوة روحية ورسالة عالمية. فلما تحجرت في عنصريتها خلقت لنفسها حواجز لم تستطع أن تتخطاها فتجاوزتها الدعوة الإسلامية إلى أن وصلت إلى فارس وبلاد الأفغان التي تبث أهلها على الإسلام ولم يتم التعريب فيها إلا في نطاق ضيق جدا.

هكذا كتب اللغة العربية الانتشار لأنها كانت أداة تبليغ لرسالة إنسانية تفوق الانتماء العرقي والتعصب العنصري، فجاوزت القيود الطبيعية

والاقتصادية والفوارق الإنسانية لتسمو بكل من اتصل بها إلى بعد كوني إنساني شريف. وكان هذا نفسا جديدا للحضارات التي كادت تندثر. لقيت في الدعوة الإسلامية إكسيرا لإعادة تفجير ما تبقى فيها من مبادئ إنسانية وقوة لتبديد عوامل الفساد والإفساد لتصنع من كل ذلك حضارة إسلامية تؤلف عناصر الحياة حول جوهر الحق، حق الإيمان بالله والأخوة بين المسلمين وإنصاف الإنسان من حيث هو إنسان.

كان العالم العربي جزءا من العالم الإسلامي، وكانت اللغة في خدمة الدعوة والمبادئ السامية وسيلة فقط، حافظت حتى على مظاهر الحضارات، واحترمت بعض العادات، وتركت اقتباس الحياة الاجتماعية والثقافية للمبادرات الإرادية المبدعة التي ستتكون في ظل التربية الإسلامية ليتم التفاعل والانسجام عن اقتناع واعتقاد. لذلك نرى الشعوب الإسلامية رغم انفصالها عن العالم العربي الذي اتخذت بعض دوله اتجاهها غير إسلامي، نرى بلاد فارس وتركيا وبلاد الأفغان أكثر البلدان حساسية وشعورا وتعظيما لشعائر الله.

أخذت كلمة «عربي» مدلولاً آخر ازداد ضيقاً وتعصباً. فالعربي عند بعضهم هو ذلك المواطن في هذه الرقعة الجغرافية المتعددة الألوان والانتهاآت، بل هو ذلك المستوطن، لأن مفهوم الدم العربي الخالص عفى عليه الزمن نظراً لتداخل الأجناس وتزاوج الألوان.

المجتمع الإسلامي يتحرك بعوامل روحية معنوية مصدرها ذاتي ينبع من داخل النفس، يستقي أفكاره من معطيات بيئته ليزنها بميزان شريعة ربه، ليكون عضواً في مجتمع موحد الآمال والأهداف.

استطاع الإسلام في عهد النبوة والخلافة على منهاج النبوة أن يطبق ما جاء به الوحي في التسوية بين الناس كافة. وتبدو أحيانا مفاخرة

غير ضارة من بقايا العصبية. يروى أن سلمان الفارسي كان يجلس مع قوم يذكرون شرف نسبهم العربي. فقال له بعض الحاضرين: ابن من أنت؟ فقال سلمان: «أنا ابن الإسلام»، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فبكى وقال: وأنا ابن الإسلام!

تعصب الأمويون للعرب أيما تعصب: بدأ نفسيا بين الحكام والأمراء، فاحتكروا السلطة السياسية لكن غير العرب استطاعوا أن ينبغوا في ميدان العلم خصوصا في الفقه والترجمة إبان أخذ الفكر الفارسي.

روى ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج 2 ص 262):

«قال لي ابن أبي ليلى. قال لي عيسى بن موسى، وكان شديد العصبية: من كان فقيه العراق؟ قلت: الحسن بن أبي الحسن. قال: ثم من؟ قلت: محمد بن سيرين، قال: فما هما؟ قلت: موليان، قال: فمن كان فقيه مكة؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وسلمان بن يسار، قال: فما هؤلاء؟ قلت: موال، قال: فمن فقهاء المدينة؟ فقلت: زيد بن أسلم، ومحمد بن المنكدر، ونافع بن أبي نجيح. قال: فمن هؤلاء؟ قلت: موال، فتغير لونه، ثم قال: فمن أئمة أهل قباء؟ قلت: ربيعة الرأي وابن الزناد، قال: فما كانا؟ قلت: من الموالي، فاريد وجهه ثم قال: فمن فقيه اليمن؟ قلت: طاووس وابنه، وابن منبه. قال: ومن هؤلاء؟ قلت: من الموالي، فانتفخت أوداجه وانصب قائما. قال: فمن كان فقيه خراسان؟ قلت: عطاء بن عبد الله الخراساني. قال: فمن كان عطاء هذا؟ قلت: مولى، فازداد وجهه تربدا، واسود اسودادا حتى خشيته ثم قال: فمن فقيه الشام؟ قلت: مكحول، قال: فما مكحول هذا؟ قلت: مولى. فتنفس الصعداء ثم قال: فمن فقيه الكوفة؟ فوالله

لولا خوفه لقلت الحكم بن عتبة، وحماد بن ابن سلمان، ولكني رأيت فيه الشر فقلت: إبراهيم النخعي والشعبي، قال: فما هما؟ فقلت: عربيان. فقال: الله أكبر، وسكن جأشه».

كان لابد لهذا الموقف المتعصب من رد فعل من طرف الشعوبيين الذين استطاعوا أن يسيطروا على العباسيين في العصر الثاني منه ليضعفوا من شأن العرب ويتقموا لأنفسهم. لما اختفى عدل الإسلام ووحدته في الحكم، وظهر الحكم بالغبلة، وصار الملك عاضا، أخذ سوس الفرقة ينخر جسم الأمة الإسلامية، واستيقظت حمية جاهلية في قلوب الشعوبيين، وتجدت لمواجهتها أقلام وأقاليم، وأحيانا أحجمت عن التعامل معها عقول وقبائل.

يقول الفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط في مادة «عكد» أن عكد جبل باليمن قرب مدينة زبيد، وأهله باقون على اللغة الفصيحة، وقد زاد شارحه مرتضى الزبيدي: «ولا يقيم الغريب في بلادهم أكثر من ثلاث ليال خوفا على لسانهم ولسان البدو النازلين في الجنوب من شبه الجزيرة العربية».

بدأ هذا التشدد في العربية مقابل النزعة الشعوبية التي سيطرت أيام الخلفاء العباسيين وطغى هذا الانغلاق وعدم الثقة بين الأمة ففرقتها، وبين الحكام والمحكومين فأفقدتهم ثقة الجماهير، وبين العلماء والأميين فأفقدتهم التقدير في عيون المحبين، وشجعت الأميين من الناس على تناول العامية في معاملاتهم وتخطبهم.

روى أبو عمر الشيباني قال: «تكلم أبو جعفر المنصور في مجلس فيه أعرابي فلحن، فصر الأعرابي أذنية، فلحن مرة أخرى أعظم من الأولى فقال الأعرابي: أف لهذا ما هذا؟ ثم تكلم المنصور، فلحن

الثالثة، فقال الأعرابي: أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر».

وعن الواقدي: «صلى رجل من آل الزبير خلف المنصور، وقرأ الهاكم التكاثر، فلحن في موضعين، فلما سلم التفت الزبيري إلى من بجانبه، وقال: «ما كان أهون هذا القرشي على أهله».

ما كان للغة العربية أن تكون «وحدة لغوية»، وما كان للعرب أن يكونوا دولة موحدة لولا دعوة الإسلام ورسالته التي سمت بهم فوق النزاعات وجعلتهم قادة وأئمة. فلما سقطوا في أعرابيتهم تفرقت وحدتهم وذهبت ريحهم. ذهبت وحدة الإسلام بين فعل ورد فعل. استأثر الأمويون بالحكم وعاملوا الموالي باحتقار واستخفاف، لكن الموالي استطاعوا أن يتألقوا في ميادين المعرفة والخبرة، بينما اهتم العرب بالسلطة والترف، فلما ضعف العنصر العربي برزت الشعوبية في كل الآفاق وسيطرت على الدولة العباسية ولم يرض العرب عن وضعيتهم الجديدة، فحاولوا الانتصار لقضيتهم. وهذا ما فرق الخلافة العباسية إلى دويلات وهياً الظرف للعثمانيين لتوحيد العرب والأترك في شعور إسلامي تفاوتت حيويته بتفاوت قيام السلطة الحاكمة مبادئ العدل والمساواة.

والشيء الجديد الذي أضيف إلى هذه الحالة الداخلية المريضة والقابلة للتعفن هو محاولة الدول الأخرى غير الإسلامية إضعاف الخلافة العثمانية التي سيطرت على آسيا وإفريقيا وجزء مهم من أوروبا، واستطاعت بقوة أسطولها أن تراقب كل تحركات العالم في البحر الأبيض المتوسط. خرجت أوروبا من قرونها الوسطى ومن فتنها الدينية، وفرقتها القومية، ووجدت أمامها قوة جبارة أس وحدثها وعنصر قوتها الشعور الإسلامي المتمكن من الشعوب التي تتألف منها، كانت يومئذ الخلافة العثمانية تجسد «شوكة الإسلام»، وكان لها بهذا الدور الأساسي في حياة المسلمين كأمة لها وجود في العالم مشروعية رغم النظام الوراثي العاص.

لم يوفق محمد علي في مشروع الإمبراطورية العربية لأنه كان مفتقرا إلى العنصر الذي يرقى بشعور الأمة العربية إلى التضامن والتوحيد، ولنسلم جدلاً بأن هذا العنصر هو اللغة العربية التي استطاع عبد الناصر أن يبني عليها قوميته الفاشلة، والتي هيأت لقومية ضيقة عزلت الآن مصر عن العالم العربي المتفكك. ولنسلم أن محمداً علياً ما كان عربياً وما كان يحسن اللغة العربية مما جعل الحماس الجماهيري لا ينفعل لخطبه، بينما زعيم قومية ما بعد الاستعمار كانت له قدرة في النفخ تثير الحماس وتذكي المشاعر. فماذا بقي في الإمبراطورية العربية وما فعالية القومية الآن حتى في حل مشاكلها الداخلية واسترجاع أراضيها المغتصبة؟

لتفكيك الوحدة الإسلامية خلق التدخل الاستعماري غير المباشر هذا الشعور بالعنصرية. فعزل الأتراك عن العرب وهياً التوزيع الذي سيتم بعد سقوط الخلافة العثمانية، وفتح ما سمي بالتسامح الديني ليفتح الباب على مصراعيه للغزو الصليبي الذي لم يتم بعد ولخلق دولة للصهيونية العالمية. وهكذا هيأت الحركات «العلمية» الاحتلال الاستعماري ساعده على ذلك قوميون عرب ومستعربون.

فتح «التسامح بين الأديان» الباب أمام البعثات التبشيرية الأجنبية التي هيأت لنفوذ قوتين استعماريتين: إحداهما فرنسية وأخرى أمريكية. لم تظهر بعد الحركة الشيوعية لتتواطأ مع قوميين من نوع آخر لتمثل «اليسار الصهيوني» في تواطئ مع «اليمن الصليبي» ضد أمل المستقبل للإنسانية: الإسلام.

إن التسامح المزعوم أدى إلى فساد اللغة الفصحى وانحطاطها بدخول عناصر مسيحية تجهل القرآن ونماذج البيان العربي، وأن عدم

وجود مطابع إسلامية وعدم وجود تنظيم تعليمي إسلامي واقتصاره على بعض المواد الدينية فتح المجال لهذه البعثات لتحقيق مخططاتها. كانت المدرسة والمطبعة التي تهىء الكتاب المدرسي تخدم أهدافا سياسية لغرس بذور القومية العربية. فباسم المحافظة على التراث وإحيائه تم تأسيس المدرسة الابتدائية ومنهجية تعليمية وإنشاء كليات واسعة يتناول فيها الطلبة الغذاء «الصحي»، ويلبسون البذلة الموحدة، ويتدربون على نمط معين من الحياة، حاول المبشرون، سواء منهم البريسبيتريين أو اليسوعيين أو الكاثوليك محو الشعور الإسلامي عند المتعلمين لخلق طبقة ذات عقلية لا يكتفي مستعدة لقبول الغزو المهيب له. وذلك بفصل اللغة عن القرآن وخلق شعور بالانتماء إلى أرض الوطن دون الالتفات إلى اختلاف العقيدة.

أسست أمريكا في بيروت سنة 1848 «جمعية الآداب والعلوم»، كان اليازجي القيم عليها والبستاني سكرتيرها. ولم يكن فيها أي عضو مسلم بل اشتملت على إيلي سميث وكورنيليوس فان دايك واثنين من المبشرين وانضم إليها الكلونيل تشرسل المشهور. وأسس الفرنسيون على يد اليسوعيين «الجمعية الشرقية» سنة 1850 وكان محركها الأب دو برونيير الفرنسي وكان أعضاؤها كلهم من النصارى استطاعوا أن يكونوا حركة قومية أدبية تدعي خدمة اللغة وتطويرها بوسائل علمية، ومنهجية عصرية، لا على أساس ديني يعتمد القرآن ومبادئ الإسلام.

الحركة في بدايتها واضحة الأهداف: حركة صليبية تتكون من عناصر غير إسلامية. لما توضح المنهج واكتسب الأعضاء دربة في ميدان التبشير وفي امتلاك اللغة العربية استغلوا مبدأ التسامح الديني لدعوة الإسلاميين إلى ما سموه «جهود أهل العقائد الدينية جميعها لخدمة

العلم»، فأسسوا «الجمعية العلمية السورية» سنة 1958. وما هي إلا خليط من الجمعيتين الأوليين المنحلّتين. بلغ أعضاؤها 150 عضوا من الدرزي الأمير محمد أرسلان والنصراني ابن البستاني، وكان أساس عملهم الوحدة الوطنية والاعتزاز بالتراث العربي.

وحتى تقتصر على أعلام أدباء قوميين نصارى نذكر من بينهم: ناصف اليازجي وابنه إبراهيم، بطرس البستاني وابنه وصهره خليل سركيس، فرانسيس مراش الحلبي في الشام، شلبي سميل، فرح أنطون، أديب اسحق، كلهم كتاب هذه الفترة، وإذا ما أردت إتمام اللائحة فابدأ بعصرنا الحاضر، ابدأ بأسماء الحكام في الشرق ومنظري حزب البعث من أمثال سركيس، وميشل عفلق، وبيعض أسماء «المناضلين» في حركة تحرير فلسطين من أمثال جروج حبش وأتباعه. عائلات نصرانية مستوطنة في أرض إسلامية هيأت للتدخل الأجنبي، وفتحت بابا واسعا للاستعمار.

أوساط مثقفة استغلت الأدب والثقافة والعلم بلسان قومي عربي فصلته عن القرآن والسنة لخدمة مطامع الاحتلال الأجنبي. وجودها داخل المجتمع الإسلامي هيأ الفرصة للحركة الصليبية التي مزقت الشعوب الإسلامية من الداخل بإذكاء نار الفتن وإضعاف شوكة الإسلام أمام انجلترا وفرنسا.

انجلترا التي تبحت على تقوية امبراطوريتها في العراق، وصيانة طرقها البحرية إلى الهند، وتعزيزها بالطرق الجوية لتسخير ينابيع النفط الغنية في جنوب إيران.

وفرنسا التي تريد كسب نفوذ سياسي واعتبار ثقافي بنشر ثقافتها وحماية النصارى والصليبيين.

أعطى «القانون الأساسي» لسنة 1864 الحق للدول الأجنبية في التدخل في الشؤون الداخلية للخلافة العثمانية بدعوى حماية المبشرين من فتنة العصبية التي أيقظوها. هذا القانون الذي قسم بلاد الشام إلى ولايتين. أصبح جبل لبنان بموجبه تحت نفوذ نصرائي، بينما بقي الجزء الآخر تحت نفوذ قسطنطينية. ومنذئذ وخلال الاحتلال الفرنسي للبنان وبعده، وحركة «تنصير» المسلمين مستمرة بكل الوسائل: الثقافة، الصحافة، الحكم. فلا عجب إذن إذا رأينا حركة انفصالية في جنوب لبنان تتزعمها قوى مسيحية بمساعدة الصهيونية.

أسس موظفون ونواب وكتاب عرب «المنتدى الأدبي»، وفتح فروعاً له في مصر وسورية، وتفرعت عنه لجنة سياسية «القحطانية» حاولت ضم بعض العناصر العسكرية لكن الخيانة تفشت في أعضائها فانحلت وكونت «النهضة اللبنانية» التي نادى «بالثورة العربية». هذه الحركة هي التي دعت إلى ضرورة احتلال فرنسي للبلاد مؤيدة من طرف القنصل الفرنسي في بيروت.

الجمعيات الأدبية، المنظمات الثقافية السرية والعلنية، الصحف والمجلات، الكتاب المدرسي والمعاهد التعليمية وسائل استغلتها عناصر نصرانية في ضرب وحدة المسلمين من الداخل هدفها إضعاف شوكة الإسلام التي كانت تتمثل في تأخي كل الأجناس في عقيدة واحدة وثقافة إسلامية موحدة.

يدين أكثر القوميين العرب «للمعلم» ناصيف اليازجي وابنه إبراهيم في الدعوة إلى «التسامح الديني» والقومية العربية وذلك بفضل حركته الأدبية التي بدأت بالكتب المدرسية ومنهجه التعليمي ويدينون لبطرس البستاني البروتستاني الذي ترجم الإنجيل إلى العربية، والذي

أسس المدرسة الوطنية على الفكرة الوطنية لا الدينية مقتبسا عن الغرب، متخذاً من الحديث الموضوع «حب الوطن من الإيمان» شعاراً لأشهر صحفه الأسبوعية، يدينون له بإيقاظ «الشعور الوطني» في قلب الشعوب العربية. الشعور الوطني جاء نتيجة لتمزق الوحدة الإسلامية، ومطابقاً لفترة الملك الجبري الذي جزأ الخلافة الإسلامية إلى دويلات تدين للموكها ولعصبية أضيق من القومية ألا وهي الوطنية.

خلفية فكر البستاني وغيره لا تكمن في ظاهر أعمالهم الثقافية من ترجمة، ولكن في ما أرادوا غرسه من أفكار. إن تأليف قاموس للغة الذي قام به البستاني في جزئين سنة 1870 تحت عنوان «محيط المحيط»، ثم اختصره إلى «قطر المحيط» ليصبح بمتناول الطلاب، وإن وضع موسوعة عربية باسم «دائرة المعارف» وإتمامها من طرف أولاده وبعض أفراد عائلته، إن القاموس والموسوعة يعتبران في حد ذاتهما عملاً إيجابياً يمكن للعرب أن يستفيدوا منه خصوصاً وأن الجو الثقافي في هذا العصر وصل إلى الحضيض. لكن الحكم المجرد والذي لا يعتبر الظروف التاريخية والخلفيات الإيديولوجية هو حكم ساذج.

البستاني بروتستاني ساهم مع الإرساليات الغربية، وساهم في ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية. هذا وحده كاف لإعطائه المكانة التي يستحق في ذهن المسلم، وأقول المسلم لا القومي. زد على هذا ترجمته للإلياذة منظومة تاريخية أدبية خيالية لنمط حضاري معين يعتبره الغرب النموذج والأصل لكل حركة إنسانية، لا نقول لا لمعرفة التراث الإنساني، لكن ليكون ملهاة خرافية لشعب ألف القصص القرآني باعتباره درسا وموعظة وموجها للحياة الاجتماعية الواقعية ومفسراً لأصل الإنسان ومصيره، فلا ثم لا، هذه وثنية يونانية تؤله الأبطال القوميين، تحالفها وثنية أخرى رومانية تقدر القانون الوضعي كما سنرى مع أتاتورك وأدنى منها وثنية الوطنيين.

أرخ جرجي زيدان للإسلام كما أرخ غيره من أمثال قاسم أمين بأسلوب بسيط عصري ومستويات من الأعمار مختلفة. فإذا كان قصد الأول؟ يقول بروكلمان «تمهيد لتعريف العرب بثمرات البحث الأوروبي في التاريخ وعلم الاجتماع»، ونقول نحن: تمهيد للاستعمار الثقافي الذي لا يزال يحتل عقول بعض مثقفينا. أما قاسم أمين فلنترك تاريخه ولنقل كلمة في «دراساته الاجتماعية». احتل موضوع المرأة كما هو الحال عند كل من يريد الابتعاد عن أمر الله في هذا الموضوع، احتل حيزا كبيرا من تفكيره. لكن لماذا هذا الموضوع بالذات، عند العرب وعند الأتراك في آن واحد، أي في العالم الإسلامي؟ يقول البعض أن قاسم أمين استغله لدعاية سياسية لنفسه فلما فشل تراجع في كتاباته الأخيرة عما تضمنه كتابه «تحرير المرأة» و «المرأة الجديدة». لكن الذي يهمننا هو ما آلت إليه عقليات العرب من تبعية فكرية داخلية في إطار التقدم ومسايرة العصر. والمرأة رمز الحياة الاجتماعية الإسلامية ومحاولة التنقيص من المبادئ الإسلامية التي تحدد نشاط المرأة في المجتمع ما هي إلا غزو بدأته الصليبية، وتتمه الآن الشيوعية لضرب المجتمع الإسلامي من الداخل.

الحركة الفكرية التي هيأت من جهة الاحتلال الأجنبي وشجعت من جهة أخرى تقسيم العالم الإسلامي بإضعاف شوكته، هذه الحركة متنوعة ومتشعبة. فمن جهة البعثات التبشيرية المستعربة التي اتخذت الدعوة للعربية مطية لتحقيق مطامع استعمارية صليبية، وهناك عرب غرثهم الدعوة القومية المستوردة من الغرب كأمثال عبد الرحمن الكواكبي ونجيب عزوزي الذين قالوا بوجود أمة عربية واحدة تضم المسيحيين والمسلمين على حد سواء، وناديا إلى التآخي بين الطوائف وتناسي الأحقاد في كتاباتهم الأدبية المتأثرة بالرومانتيكية الأوروبية. وكانا يمثلان التيار المعادي للأتراك.

بينما نجد دعوة أخرى قومية لكنها غير منفصلة عن الإسلام يتزعمها رشيد رضا رائد حركة الإصلاح الديني في هذه الفترة. فاشترطه أن تكون الخلافة عربية لا تركية أدخل نظرية أستاذه جمال الدين الأفغاني الذي كان يدعو إلى الجامعة الإسلامية، أدخلها إلى إطار ضيق وسجنها في دعوة إقليمية، وأفقدتها قوتها، وهياً هو الآخر إلى ذهاب شوكة الإسلام.

إن المشكلة المطروحة من طرف القوميين هي كيف يتم التعايش بين الطوائف الدينية التي تكون الدول العربية. وهذا خطأ كبير في تفكيرهم. لأن وضع المشكل في إطار عربي بعيد عن روح الإسلام أتاح للنصرانية وهي دعوة عصبية، ولليهودية وهي دعوة عنصرية وللعروبة والأتراك وهي دعوة لأعداء جنس على الآخر، أتاح لهذه النعرات الجاهلية أن تحدد مفهوم حركتها بالمقارنة مع العناصر الأخرى، وهذا ما شجع التناحر وزاد العرب فرقة بعد ذهاب شوكة الإسلام وهوانا في أعين من تطاولت مطامعه في الانقضاض على الحمل الذي ذهب حارسه المستبد.

الحل هو ما جاء به الإسلام. طبق زمن النبوة وأيام الخلافة على منهاج النبوة، وهو يحل مشكل «التسامح الديني» فلا عصبية دينية ولا قومية ولا وطنية ولا قبلية. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: 107). ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت: 46)، ﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَآئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (سورة الشورى: 37).

روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: «مرت بنا جنازة فقام النبي وقمنا. فقلنا: يا رسول الله: إنها جنازة يهودي. فقال: أو ليست نفسا؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا».

رأى عمر شيخنا ضريرا يسأل على باب، فسأل، فعلم أنه

يهودي، فقال له: ما ألك إلى ما أرى؟ قال: الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده، وذهب إلى منزله، فأعطاه ما يكفيه ساعتها، وأرسل إلى خازن بيت المال: «انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم. ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ (سورة التوبة: 60). وهذا من مساكين أهل الكتاب.

ولقد ثبت عبر التاريخ الإسلامي ما لسماحة الإسلام في معاملة المخالفين له في العقيدة ويسميه أهل الذمة. ويلوح الآن في الأفق لحل مشكل فلسطين النموذج الإسلامي أيام صلاح الدين الأيوبي في القدس. ولقد طلع علينا اليوم الإمام الخميني بالحلول العملية لمشكل الظلم الذي كان يعيشه شعب إيران، ويبدو أن البحث عن جمع قوة الإسلام في إيران يتعرض إلى صعوبات في الداخل وخصوصاً على الحدود التي تثيرها بعض العصبية الضيقة وفي الخارج على لسان صليبية جديدة تتهم الإسلام الشيعي بالرجوع إلى القرون الوسطى.

في مقالنا المقبل نبحث إن شاء الله إمكانات إيران في القيام بجمع قوة الإسلام المبعثرة هنا وهناك في ظل أنظمة مستبدة وأخرى كافرة لتكون شوكة الإسلام أمام القوات الغازية والمطامع المتزايدة. قوة محررة من الظلم بجميع أنواعه وقوة موحدة كل الجهود الإسلامية ليعود للإسلام دوره في العالم حتى يحتكم إلى عدله وحكمته من هم الآن في شتات وقاتل ونزاع على غنائم المستضعفين.

في بداية المقال وأثناءه سكتنا عن ظلم واستبداد ملوك الأتراك، لا تزكية لهم، ولكن لطرح مشكل الظلم الاجتماعي الذي عانى منه المجتمع الإسلامي الذي أصابه الانحطاط حينما ابتعد عن النموذج الخالد أيام النبوة، وعن النموذج الإنساني أيام الخلافة على منهاج النبوة. إن وحدة الإسلام

وقيام شوكته إن لم تعن بالعدالة الاجتماعية، ورفع الظلم عن المسلمين في الداخل، لن تستطيع أن تخرج من منطقة الهوان والاحتقار والازدراء التي وضعتها فيها الدول الأخرى. وإن القوة لا تشتري بل تبني وتربي، وأن الحق لا يمنح بل يأخذه من يستحقه. وأن استعمال القوة في جانب الحق هو عدل لمن كان مؤهلاً له واستحق الأمانة وتحمل المسؤولية.

من يكون شوكة الإسلام في العالم اليوم؟

من يرفع الظلم واليتم عن الإسلاميين في العالم؟

- يتبع -

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما سلمت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

بريد القراء

ارفعوا أيديكم عن المسلمين!

تتجاوب في ضمائر المؤمنين أصداء الاستنكار لما يهيا للمؤمنين من أسباب التنكيل في سوريا.

* من ذلك رسالة من «أبي عبد الرحمن» من الرباط، قال فيها:

تحكم سوريا الآن طائفة النصيرين التي تسمى نفسها بالعلويين تمسحا بالإسلام، وهم منحرفون عن الإسلام (في أصل انحرافهم يعبدون الفرج)، وتتخذ من إيديولوجية حزب البعث سنداً لها. وهو حزب أسسه عدو المسلمين والإسلام ميشيل عفلق، حيث استحق على عمله هذا جائزة من البابا.

جاء النصيريون إلى الحكم بعد هزيمة 1967 التي يعرف أبناء سوريا الأفاذا أن حافظ الأسد (وزير الدفاع آنذاك) سلم هو والبعثيون مدينة القنيطرة قبل سقوطها الفعلي، ولا أحد يدري لماذا حدث ذلك! ومنذ أن وصل أنور السادات إلى حكم مصر والنظامان يعملان معا على جر القضية الفلسطينية إلى تسوية استسلامية (وإن كنا لم نشهد بعد نهاية المسرحية)، هذا ويقوم الحكم النصيري في سوريا على العنصرية والاستبداد، فتراهم يكونون ألوية منهم حراسة الحكام، وباقي الشعب يجند ليس للدفاع عن سوريا، ولكن لتغرس في نفوس أبنائه بذور الذل والهوان.

من جرائم الحكم النصيري في حق العرب والمسلمين:

1. التعدي على المسلمين بحذف فقرة الدستور التي تنص على أن الإسلام دين للدولة، وجعل البلاد تعيش العلمانية. وعندما احتج الشعب دخلت دبابات الجيش تدوس المسلمين في المساجد، ولا أحد نشر الأخبار آنذاك!

2. خيانة وطعن ظهر المجاهدين المغاربة بتسليمهم لليهود في حرب رمضان.

3- تدخل القوة السورية لضرب المسلمين الواقفين بجانب الفلسطينيين في لبنان سنة 1976. وهكذا أنقذت سوريا النصيريين مرتزقة الكتائبين وهي بهذا قد ساندت إسرائيل بكيفية غير مباشرة. فوقف النصيريون يتلذذون بمشاهد تل الزعتر المأسوية، وهناك كانت المجازر بحق في حق هذه الأمة المغلوبة على أمرها! ولم يكن هذا العمل إلا إرضاء للأمريكان واليهود، هذا وقد كانت من جملة الدوافع التي جعلت حافظ الأسد يلوح بالوحدة مع صدام حسين خوفهما من المسلمين (جريدة لوموند ديبلوماتيك عدد أبريل). ومن أكبر جرائم الحكم النصيري تشويهه لسمعة العاملين للإسلام وخير الإنسانية، تماما كما فعل ويفعل حكام مصر، وبهذا الصدد نهيب بالجرائد الحزبية أن تتحفظ فيما تنشره من أخبار، وأن تكف عن مكرها بالإسلام وبالمسلمين: فالمسلمون بمصر هم الذين يعارضون السادات ومعه الأمريكان واليهود، ولا يمكن أن يكون المسلمون في سوريا يتعاونون مع نفس من يعارضون. مقال جريدة مغربية عن التقرير المرفوع إلى السادات من قبل حسن التهامي والأمريكان والصهاينة الخبراء فيما يخص تصفية المسلمين والأمريكان والشيوعيين والاشتراكيين.. ولكن.. ولا يحق المكر السيء إلا بأهله.

أخوكم أبو عبد الرحمن

* ورسالة من السيد ع. عبد الرحمن الرباط جاء فيها:

أكتب إليك أخي هذه الرسالة وقلبي عامر بالأسى على ما يحدث للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وأكتبها إليك طالبا منك أن تستنكر في مجلتكم الغراء، بل في مجلتنا ما يحدث للمسلمين المجاهدين لإعلاء كلمة الله.

إن ما حدث للإسلاميين في سوريا من تلفيق للتهم كما فعل قبلهم بالإخوان المسلمين. تشابهت قلوب أعداء الله، لجدير بأن نستنكره خاصة وأنه لا يؤمن حتى نحب لهم ما نحب لأنفسنا، وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». وأطلب منك يا أخي أن تنشر بيانا أو توضح مؤامرات أعداء الله مع تبرئة إخواننا.

أما ما يخص الداخل، فإن ممطالة محاكمة الأخ إبراهيم كمال حفظه الله، وكثر الله من أمثاله، وراءها أيدي خبيثة تكيد للإسلاميين وللإسلام، لأن خروج الأخ لأنه بريء يعرقل ويهدم أعمالهم بإذن الله. كفانا من السكوت عن هذه المآسي فإن الله سوف يحاسبنا إن فرطنا.

* ورسالة وردت من أخوين كريمين من طنجة تحمل اسميهما كاملين وتوقيعهما، وهو دليل استعداد المؤمنين للبروز من مكانين المواقف المسترة، لكننا نرّمز للإسمين، نترك فسحة حتى تكون تقية الأسماء المستعارة ستارا مشتركا تتألف من ورائه إرادة الصمود ثم تبرز كما برز الإخوان. يقول السيدان ع.ع. ص، و، ع.ل.ج:

حضرة أئحينا في الله الأستاذ السيد عبد السلام ياسين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد

فقد وصلتنا رسالتكم الكريمة فسررنا بها أيها سرور لما أفادته من سلامة الأحوال وارتباط أرواحنا في الله وعلى الله، فترجو الله أن يجعلنا من الصادقين الذين تحابوا وتعارفوا وتزاوروا فيه، وإن كانت الزيارة الجسدية لم تحصل بعد فقد حصلت الزيارة الروحية من قبل هذا، والله الفضل وله المنة.

هذا وقد لاحظنا باستغراب كبير في مجلتنا «الجماعة» عدم سماح الحكومة لكم بالدخول إلى المسجد لنشر الدعوة إلى الله والتي ما أسس المسجد إلا لها، الأمر الذي يدل على أن هناك خطة يهودية مبيتة لمحاربة شريعة الله بالتعاون مع المرتدين وفئات المنافقين، والله يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة البقرة، 114).

هذا يدل أيضا على أن المسؤولين في بلادنا قد اختلط عليهم الأمر، مما هم فيه من خروج عن شريعة الله، حتى سلطوا رقابتهم ومضايقتهم على بيوت الله، وعادوا بنا إلى عهد محاكم التفتيش النصرانية بالأندلس، ومتى كان المؤمن مراقبا في بيت الله، ومتى كان لابد من إذن الحكومة للمؤمن حتى يشرح المدلول الحقيقي لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

والله قد أذن بل أوجب على كل مسلم أن يبلغ رسالة الله ولعن من يكتم ما أنزل في كتابه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَلْهَدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة: 160-159).

ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «من كتم علما أجمه الله بلجام من نار»، فأين علماء المغرب، وأين حراستهم للدين؟ وما هو

الدين يصاب في صميم مشاعره وهو الدعوة إلى الله، يمنع المؤمنون من تبليغها، وتقفل أبواب المساجد في وجوههم وفي الوقت نفسه يفسح المجال لأصحاب النظريات المفسدة الملحدة الهدامة لنشرها في أوساط الشباب بكل حرية وعدم أية مضايقة أو مراقبة، وهذا ما كان من أحلام الصهاينة من قديم، حيث رأوا أن لا منفذ لمحاربة الإسلام إلا بنشر الفساد وتمييع الشباب وتدريس الإلحاد.

كل هذه الويلات وعيون أعضاء رابطة العلماء في سبات عميق كأن هذا لا يهمهم، فلم نسمع لهم احتجاجا صارخا على هذه المكائد التي تكاد للإسلام وعلى رأسها مخطط السادات المنهزم والمرتد لمحاربة الإسلام والمسلمين بمساعدة حلفائه من الصهاينة والاستعماريين.

إن عدم السماح لكم بالدخول إلى المسجد لنشر التعاليم الإسلامية الحقيقية وأهدافها السامية أحننا كثيرا جدا حزنا متزايدا كما أحن كل المسلمين في بلدنا الذي ما أينعت فيه ولن تينع إلا شجرة الإسلام الوافرة الظلال أحب من أحب وكره من كره، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

أخونا الأستاذ عبد السلام ياسين، يسرنا أن نخبركم أن مجلتكم ومجلتنا «الجماعة» قد لاقت قبولا كبيرا وامتزايدا من طرف الوسط الطنجي المعروف بتشجيعه لكل حركة إسلامية هادفة.

فنطلب الله لكم المزيد من التوفيق، وأن يقويكم ويطيل عمركم حتى تروا ثمار ما تعملون له، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* ومن أخ كريم بالدشيرة (إنزكان)، زاد على إمضاء رسالته أن وفر علينا عناء تهجي الكتابة المخرمزة فطبع رسالته بالآلة، نشكره على ذلك ونرجو أن يكتب إلينا إخواننا بخط واضح. يقول السيد أ.ن:

إن المجلة صدرت في وقت حرج، وقت تتربص فيه القوى المعادية للإسلام بكل من تنسم فيه إخلاصا للإسلام وللمبادئ التي جاء بها، خوفا من أن تتيقظ الجماهير من المسلمين وتعي دورها في نصره الحق وإجبارهم على تطبيق الشريعة الإسلامية أو التنحي لمن يقدر على تطبيقها، وقد سمعنا مؤامرة مدبرة في بلد عربي ضد المسلمين وزعمائهم كتلك التي تلقاها السادات من المخابرات الأمريكية أو مشابهة لها، إما من موسكو أو من غيرها.

* ورسالة الأخ أطول من هذا، فهو كما أخبرنا ألف أن يكتب في مجالات رسمية وحزبية. فتحنا له ذراعينا كما نفتحها لتجمعات وأفراد نعلم تعاملهم مع جهات غير ملتزمة بالخط الإسلامي الجهادي. ذلك أن مفهوم الفتنة الذي منه تنطلق لتعريف الوسط الاجتماعي-السياسي الذي نعيش فيه يصف الاختلاط بين العناصر حتى لا تتبين هذه العناصر أين موقعها من الرقعة، وكما تحاول جهات رسمية وحزبية أن تحتضن الأفراد والتجمعات تارة بالإغراء وتارة بالإرهاب نحاول نحن أن نجتذبها لصف الجهاد، لا نتملق أحدا، لكننا ننتظر من ذوي الغيرة والكفاءة أن لا يهدروا أنفسهم بالانضواء تحت رايات عمية.

في الفقرة الثانية من رسالتك أيها الأخ الكريم تعترض على الأستاذ الملاح اعتراضا لطيفا حين لم يستثن عند ذكر الحديث الشريف الواعد بتعاقب فترات الحكم حتى قيام خلافة على منهاج النبوة. وهو كان يسرد حديثا نبويا، وعلى كل فلا يكون إلا ما شاء الله. والملاح ونحن جميعا نقول: سيكون ذلك إن شاء الله.

وفي فقرتك الثانية تنبهنا إلى الدعوة ينبغي ألا تبقى في العموميات،

وتحب أن نكتب مقالات في مواضيع متخصصة. إننا يا أخي أبعد الناس عن العموميات، لأننا نتوجه إلى كل مؤمن أن يطرح الخوف والشك والكسل وعادات القعود لينبري لمهمات الجهاد في سبيل إحياء الإسلام باذلاً نفسه ووقته وماله، فهل أخص من هذا؟ أما المقالات المتخصصة فمجلتنا أداة علم وعمل لا شأن لنا بالتدبيح الأكاديمي غير الهادف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مجلة الجماعة مطلوبة

* جاءنا من أخ كريم من سطات هو السيد م.ع. رسالة بعد صدور العدد الثاني من مجلتنا ينبهنا إلى غلط في رقم صندوق البريد: الرقم الحقيقي هو 765. وينبهنا إلى أن العدد الثاني لم يصل منه إلى سطات إلا أعداد قليلة تخطفها المؤمنون.

نشكرك يا أخي على عنايتك واستعدادك لتسير «معنا على الدرب»، وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ندي الطلبة

أين نضع أقدامنا؟

* رسالة من طالب أمضى بكنيته «أبي خليل» ختمها بآيات من سورة إبراهيم، فدلنا هذا على فقه الرجل وقربه من رسالة ربه، وذكرتنا الآيات الكريمة بموعد الله وبطريق الصبر على مشقات الدعوة، كما دلنا متن الرسالة من خلال فصاحة اللسان عن فصاحة الجنان، يقول بعد مقدمة لطيفة:

- اكتب لك أيها الأب الكريم، من رمضاء هاجرة مالها من ظل إلى رحاب رب غفور، ومن أرض موات أتى عليها زمان وهي لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً؟ وابنك هذا صاحب هذه السطور في الثانية والعشرين من عمره طالب علوم بجامعة الرباط، أذن له ربه في ولوج دربه من زمان، بيد أنه بعد لم تشف رشفات الحياة هنية في رحاب الله، بقي زمانا لا يدري أين يضع قدمه من هذا الدين، قرأ لابن القيم، وابن تيمية، وابن الجوزي، والغزالي، تأثر بأهل الطريق إلى ربه من زهاد ومتصوفة (عدا أهل الحلول والاتحاد)، شغوف الآن بأشعارهم وآثارهم.

طالع للبناء، وعودة، وسيد قطب، ومحمد قطب، وفتحي يكن، وغيرهم من رواد الحركة الإسلامية في القرن الرابع عشر. أمن بأن المجتمع «جاهلي»، وبأن الطريق لبعث جديد للإسلام هو طريق الجهاد والدعوة (طبعاً الدعوة السرية). أحب التطرف مما قرأ وسمع عن «التكفير

والهجرة» بمصر، قرأ شيئاً عن حال الإخوان المسلمين بمصر وفتنتهم، فعشق أن يعاقب أعواد المشانق وأقبية السجون، عاشر «التبليغ» زمانا وما يزال، فوجد أن الإسلام يريد من أهله أكثر من ذلك، سعة في أفق، واتساعا في فكر، ورحابة في علم بمجريات الأحداث.

عمل مع بعض من جمعهم وإياه الدرب زمانا كانت الريح رخاء، وكان كل شيء يبشر بخير: طلّاع الفجر تبدو من بعيد، جحافل السواد تولى، كان الصوت الإسلامي في كل ناد، في ثانويات البيضاء كنا نقوم لأساتذة العربية والفلسفة فندعهم كالأقزام أمام الطلبة، ومن استعصى وكابد وعاند كنت لا تراه الشهر أو الشهرين. تجده إن بحثت عنه في بعض المستشفيات وكذا الطلبة، وأيا محاضرة جرت إلا وكانت خاتمها رجوع إلى الله ودينه ومنهجه، وتحدينا الجميع، فترى الجموع مصلية صلاة العصر في الساحة أمام الملأ، والشعارات الإسلامية على الحيطان، والمنشورات توزع، والمصقات تلصق في الحيطان حاملة كلمة الحق صادعة بها. وفجأة ودون سابق إنذار، خرقت سيوف الفتنة أشرعة القارب الصغيرة، وتدفقت الأمواج لتأتي على كل شيء فتبدد ما كان قائما، واربدا الأفق الطلق، وتولى كل واحد إلى ظل ظليل، فإذا المساجد الممتلئة شبابا وقد أعرض بعضهم عن بعض، وإذا العيون تشي بألف حزن دفين، تدمي القلب قبل أن تدمع العين، وإذا المد ينقلب جزرا، فإذا معاقلنا مراتع أهواء، وإنا لله وإنا إليه راجعون. وصاحبك وهو يكتب إليك الآن يكتب وهو متكئ على خشبة من قاربه المهشم في اليم، وأمام ناظره شريط تلك الأيام التي ولت، والتي نسأل الله أن تعود ولكن على هداه، إنه ولي ذلك وقادر عليه. وقد تحطم كل شيء أمامه إلا أمل في الله، وإن كان بالإيمان ضعف، وباليقين رخاوة، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة: 115)، وكنت قد قرأت لك من زمن منذ حوالي الأربع

سنوات «الإسلام بين الدولة والدعوة» والذي ضمته دعوتك الصارخة للصوفية (أو هكذا خيل إلي). لم أجد الساعة تعليلا لحالي ساعتها وأنا أقرأه، بكيت طويلا وكنت أقرأه بعيدا عن الناس. عفت الطعام أياما، لست أدري لم؟ ووصلتني رسالتك أو طوفانك فوجدتك فيه كما شاء الله أن أجدك، وأبكتني ربما لصغر في سني يومها، أو لأنني كنت أرى «أعزل الحق» وحده ولا أستطيع أن أقدم له شيئا، وسمعنا باستضافة الحكومة لك... وأدركت أن نياشين العزة وأوسمتها ليست لكل زاعم وصل أو مدعيه، والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس.

وأخيرا سمعنا صاحبي قد خرج من سجنه بمشروع إنشاء حزب إسلامي يدخل به السياسة من بابها الواسع مستغلا الفترة الديمقراطية التي تمر بها البلاد.

حزب إسلامي يخوض به الانتخابات العامة على غرار حزب سلامة التركي أو تنظيمات الترابي بالسودان.

وصدر العدد الأول من الجماعة، ووجدتك فيه أيها الأب الكريم ترسل صيحاتك وسط هذا الجو المشحون المكهرب المطبوع بالشك القاتل الذي تسرب إلى قواتنا العاملة مستجيشا عرائم خارت في خضم الممارسات اليومية البليدة، منطلقا ألسنا أخرسها الخريف المميت ولم أشك في صدق نيتك مما أعرف من ماضيك القليل، لكنني أسائل نفسي بعد العدد الثاني من الجماعة، ترى كيف هذه الجماعة الموعودة فتغشاني فترة فكر أذكر فيها الشهيد البنا في الإسماعيلية، والاسكندرية، والقاهرة، ومدن الصعيد، وجماعته المؤمنة التي تذكر بعصر الصحابة. وأذكر معه الاجتماعات العلنية والدعوة الجهرية، والجرائد، وفرق الكشافة، والتدريب العسكري، ومع ذلك أذكر أشياء أخرى سجل تاريخ الإخوان حافل بها لكنني

أرى فلول الحق وكتائبه وبعد البناء وفي مختلف الأقطار العربية على ما أعلم وخاصة مصر سلكت سبيلا غير سبيله، مما حملني على التفكير بأن الإطار الزمني والمكاني لدعوة كدعوة البناء قد ولي، ولا أناقش في هذا باكستان وجماعتها الإسلامية العلنية بحكم أن باكستان دولة قامت أولا وأخيرا على أساس الدين. ولست أرد فكرة جماعة علنية -لا- وإنما أتساءل ترى كيف تكون مناهج التربية في جماعة كهذه؟ وفي اجتماعات عامة يجتمع فيها الغث والسمين، الجاد والهازل، خلص الرجال وكواسر الطير سيما والتربية أساسها الأول كما قلت، وكيف السبيل إلى تربية هؤلاء الذين ينشأوا في تيه ما بعده تيه على منهج الإسلام، بالإيمان فالإحسان. ولست أثبتك، أخي الكريم، عن عمل ساقتك عناية الله له، ولكننا هي تساؤلات أطرحها وإشكاليات تبدولي ربما لشذوذ في نظرتي للأحداث نشأ في غيبة عن التوجيه الحكيم، وربما حق أراه وباطل دونه. وعلى كل حال كل هذا وذاك يضع نصب أعيننا احتمالات الطريق ومتاعبه من بدايته، لنكون على بينة من الأمر «طريق مفروشة بالورد أولها شك فيها أنها طريق الأنبياء» كما قال ابن قيم.

ولا أطيل عليك أخي وأبي الكريم، وأذكر أن الله سننا في الكون ثابتة، منها أن الله يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن أمة إذا أدركت منزلة العبودية لله أورثها الله الأرض هنا والجنة هناك، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة يوسف: 21). واصبر أخي على إعراض المعرضين وشك المتشككين، فما كان لكلمة الحق أن تصل بسهولة إلى الآذان ولو كان الأمر كذلك لما كان للدعاة شأن ولا وظيفة على هذه الأرض، ولا تعجل، فداعية الحق كزارع النخل ليس ينتظر ثمراته نخلا بعد أيام. وليتسع صدرك للنصائح والتحديات ففي الناس من وجدوا النصيح من برج عاجي غير آبهين لاعتبارات أو موازين. لا تكونوا، أحبتي، سيف

الرأسمالية المسلط على الشيوعية، ولكن سيف الإسلام المسلول على الظلم أو الطغيان والانحراف أيا كان - وأملني في الله العظيم أن يكلاً هذه البذرة الطيبة برعايته. وإياه أسأل عز وجل أن يسير بها على هداه في رحابه، وأن لا يفتنها بما لا طاقة لها به، وأن يفتح لصوتها آذاناً صماً وقلوباً غلغفاً، وأن يتولاها بما يراه وهو أهل كل خير وصواب سبحانه، هو الولي، له ما في السماوات وما في الأرض، وقبل أن أودعك أخي الكريم، لا قبل أن أفارقك فلن نفرق - أقول قبل أن أودعك لا يفوتني أن أستسمحك على ما أكون قد أخذت من وقتك، وإنما يشفع لي في ذلك سلامة الصدر، وحسن النية، وشجوه وشجن في القلب، عز الزمان أن يأتي بمن أشكوه لواعج قلب كليم.

وهذه الكلمات وأنا أثبتها على عجلة من أمري، أسأل الله أن لا تؤخذ على غير مأخذها، هو ولي الهداية والتوفيق والرشاد، فقد كتبتها دون مراعاة لقانون أو عرف للكتابة.

وإنما يثلج الصدر أنها لأخ قد يدرك من أي قلب صدرت، وختاماً لا يفوتني أن أنصح في المجلة، لا غلاء ثمنها فإني أدرك ما وراءه، ولا قلة مواضيعها علماً مني بأنها في أول الطريق، ولا قلة محرريها، فكل ذلك له ما يبرره، ولكن أنبه إلى بعض الأحاديث الواردة في العديدين، أحاديث موضوعة، ولا يخفى عليك أخي الكريم خطورتها سيما وفي الناس من نشأ على النقد دون إعطاء البديل، وقد يتخذها بعض من هم على الدرب حجة على الطريق المسلوكة.

من هاته الأحاديث على ما أذكر - «أحب العرب لثلاث...» ودليل وضعه المذكور عند ابن تيمية في كتابه.. اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم». وحديث «من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» وهو موضوع، ودليل ذلك في سلسلة الأحاديث الضعيفة

والموضوعة لذا وجب التذكير.

وأعود قبل أن أختم إلى الاستسماح وقد أعود للكتابة لكم، وقد نلتقي يوماً على الدرب ونحن خير وأنا معكم بكل شيء، وبكل ما أوتيت آملاً أن أكون بذلك عند ظن ربي بي، مستمطراً رحمته علي وعلى من سلكوا السبيل إليه هجوع ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة يوسف، 21)

- رسالتك يا أخي تطرح أسئلة نتمنى أن تجد، ومن كان في مثل مقامك طالباً للحق عازماً على سلوك السبيل إليه مهما كان الثمن، أجوبة عنها اطلعاً في مجلتنا، وممارسة عن طريق جهاد نتظر أن يشاركنا أمثالك فيه.

رسالتك مقال قائم بذاته، ونصيحتك لنا الأخيرة فيما يرجع للأحاديث الضعيفة والموضوعة مقبولة على الرأس والعين. فنحن ندين الله تعالى بوجوب التحري في النقل، ونعتبر خدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة يتقرب بها إلى الله. ونعوذ بالله أن نستهيئ بمثل هذه الأمور، إذن نكن مع الهلكى.

نكتفي بالتذكير أن هذه الأحاديث، التي ذكرت والتي لم تذكر، موضوع خلاف بين علماء الحديث، ونحن إنما نقلنا عن أهل العلم، وما من واحد منهم إلا اعترض عليه، واعترض هو على الآخرين. وبما أننا لا نجد إلى جانبنا من علماء الحديث من نستشيرهم ونسترفدهم، فإشارتنا إلى مخرج الحديث يخرجنا من التبعة. وقد قال الإمام السيوطي رحمه الله: «من حمل عنك فقد حملك». فإذا كان الطبراني، وهو من أهل العلم روى حديثاً مثلاً و أخرجه ونشره في الأمة، وكان لهذا الحديث «شاهد» من الكتاب والسنة، فما علينا نحن تبعة وضع الحديث. وقد قال السيوطي في حديث «أحبوا العرب لثلاث...» أن له شاهداً، وقد قال العلماء، المحدثون منهم والفقهاء،

أن الحديث الضعيف يستشهد به في فضائل الأعمال إن كان له شاهدا من القرآن أو الحديث الصحيح. على أننا نعتبر ورود هذه الأحاديث في كلامنا مشغلة نحن في غنى عنها لما تطلب من إهراق المداد كما نعمل الآن، ومنقصة لا بأس منها إن شاء الله مرجعها إلى أن من الناس من يشاركنا في آلامنا وآمالنا فينبهنا إلى أخطائنا، بل يتفكه في المجالس أننا نستشهد بالأحاديث الضعيفة ويتشفى بجهلنا. ونحن نحمد الله نعلم يقينا أننا خطاءون، نرجو الله ربنا أن يكتبنا في التوابين لتكون ممن يحبهم.

* ومن الأخ ل. محمد المختار من مراكش هذه الرسالة:

استقبلنا-معشر الطلاب- بفارغ الفرح والسرور صدور مجلة «الجماعة» جمع الله بها سائر المسلمين، وهدى الله بها الطاغين المنحرفين، وأرشد بها الملحددين والمرتدين إلى طريق الفلاح والصلاح: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة الأنعام: 153). وإننا إذ نحبيكم تحية الإكبار والامتنان لشكر الله تعالى أشد الشكر على أن جعل في أمتنا المسلمة رجلا مثلكم عرفوا طريق الحق فاتبعوه، وأحبوا الفوز والفلاح فحملوا لواء الإصلاح والدعوة إلى الله.

ولكن لي بعض الملاحظات عرفت أن لكم صدرا رحبا وقلبا وسعا فأحببت أن أطرحتها لعل فيها ما يضيف، أو لعل ردكم عليها يكون أفيد لي ولسائر الراغبين في الإصلاح.

1- قد اطلعت على نظريتكم في أسلوب العمل، وعرفت رأيكم في الجماعات الإسلامية المناضلة «وأنا متفق معكم في كل آرائكم إلا أنني أتمنى -وما دام هدفكم هو التكتل ونبذ الخلافات- أن يكون اجتماعنا على كتاب الله وسنة رسوله صافيان من كل شوائب البدع والضلالات، خاليا من كل ما يسئ إلى ديننا الحنيف وسمعته، فما ثبت فيه نص من القرآن أو الحديث

لا يجوز تأويله حسب الشهوات، ولا يجب تركه والعمل بغيره مما ابتدعه الناس، وعليه، فيجب أن يكون مصدر قوتنا واتحادنا هو الإسلام الصحيح، فالحق ظاهر. «الحلال بين والحرام بين». أما ما لم يرد فيه قرآن ولا حديث ولا ذكره محمد صلى الله عليه وسلم كان من قبيل اجتهادات العلماء الأجلاء، فلا يجب أن يكون مدعاة إلى تفرقنا وكرهية بعضنا بعضاً، فنحن في غنى والحمد لله على هذا.

إن محاربتنا البدع والخرافات في عصر الذرة والفضاء يجب أن يكون في أساسه بالرفق، فالرسول صلى الله عليه وسلم يأمرنا بذلك، والله تعالى يقول في مجادلة أهل الكتاب ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل: 125)، ولكن من أبى النصيحة ورفض الانصياع للأوامر الإلهية عن علم ومعرفة وجبت محاربتة بشتى الوسائل والأساليب. فראي أنه يجب أولاً النصح والإرشاد، فإن لم يقيها وجب العنف والشدة. أما الذين يسارعون إلى تكفير الناس دون أن يؤدوا ما عليهم من واجب النصيحة بالرفق واللين فقد جاوزوا الحد وبالغوا.

إن مجتمعنا الإسلامي يعيش فتنة وتمزقا، ويجب ألا يكون جمع شملنا غافلا عن هذه النقطة حتى إذا ما آل الأمر إلى الإسلاميين -وذلك أت إن شاء الله- استيقظت خلافاتهم وتشتتوا في وقت هم أحوج فيه إلى الاتحاد، ونحن نعيش هذه التجربة الآن في إيران التي يقتتل فيها السنيون والشيعة، وكان الأجدر بهما الاتحاد والائتلاف.

فلنوحد «جهتنا الداخلية». أولاً ليكون ذلك مصدر قوتنا وعزنا، ولنبعد عن أنفسنا الضغائن والأحقاد التي لن نحمد ناراها إلا بالعودة إلى سيرة السلف الصالح ننشد منها الفوز وطريق الصلاح. وأملي يا أستاذنا العزيز ألا تنزلق -وأنت اليقظ المنتبه المؤمن الصالح- إلى «إدانة» أو الانحياز إلى جماعة من الجماعات، خاصة وأن الشباب اليوم هم أكثر ميلا إلى فكرة الرجوع إلى السلف الصالح حتى لا تضيع جهودكم الصادقة، ويحدث

ما نحن في غنى عنه من تفرقة وكرهية.

يا أيها الطريقون، لقد شتمت شمل الأمة الإسلامية عن حسن نية أو عن سوء نية، فارجعوا معنا إلى الله تعالى، ولنعتصم جميعا بحبل الله ولا نتفرق. لقد أغنانا الله تعالى عن الاعتقادات «ادعوني استجب لكم». لا وساطة في الإسلام بين العبد وربّه والله الحمد، وما أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع الطرق المتنوعة، والرسالة المحمدية كاملة تامة «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (سورة المائدة: 3)، فلا تكونوا سببا في استمرار تفرقنا، وأنبدوا التعصب والتشدد، فإن رأيتم الحق فاتبعوه ولا تقولوا قال فلان أو قال فلان، فرحم الله مالكا وجازاه، ورحم الغزالي وجازاه، ورحم عبد الحميد كشك، وحسن البناء، والبصري، والجزولي وسائر من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله..» الحديث.

ليكن هدفنا إقامة نظام إسلامي متكامل في الاقتصاد والاجتماع والسياسة، لنتحدا من أجل اختراع أو بالأحرى استنباط نظام إسلامي متكامل، فذاك أسمى أهدافنا وواجباتنا، لنفتح باب الاجتهاد عريضا لنساير ركب الحضارة، ونضع الأحكام لكل ما يجد في عصرنا من أحداث. والسلام على من اتبع الهدى وطريق الرشاد.

والله معك يا أستاذنا الجليل.

- أعجبنا في رسالتك الرفق في طلب وحدة الإسلاميين وجمع شملهم، نحن معك في ذلك، والكتاب والسنة أساسنا. وربما تشير نصيحتك لنا ألا ندين جماعة من الجماعات المتخاصمة وألا «نزلق» للانحياز إلى بعضها إلى ما كنا نصحننا به إخوتنا الطلبة من الخروج مع رجال التبليغ. هذه جماعة الصابرين يهجم عليها قوم فيحملونها أوزار كل

الطريقين عن تحامل ظاهر. وهي أيضا تساهم في بذر الشكوك حولها بمواقفها المهادنة للسلطات الرسمية المسؤولة عن تضييع شريعة الله، ولو كنا ممن ينحاز ويتحامل لكان «خذلان» رجال التبليغ لجماعة المودودي في محنتها كافيا جدا كي ندين القاعدين. لكن هؤلاء التبليغيين لا ينقص شيئا من صفائهم الروحي قعودهم «التكتيكي» من الجهاد. وما يظهر من مصانعتهم للحكم خطة ما نحن مسؤولون عنها. ويظلمهم على كل حال من يتسرع بإدانتهم بتهم البدع أو تهم العمالة. التفت حولك وانظر من في التجمعات والأفراد لا يطأطئ الرأس.

كما يظلم الطريقين عامة من يتهم الخراف بجرائم الذئاب، بل من يسم الأ سود بسيا الثعالب.

وقد انصفت، بعد أن اتهمت الطريقين بأنهم شتتوا شمل الأمة، لما دعوت بخير من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله. لتفصيل هذا المقال مقام غير هذا إن شاء الله تعالى، لكن اعلم أن لفظة طريقي تغطي معا رجالا صادقين ترتفع بهم الهمة لمعرفة الله والجهاد في سبيله دون أن ينحط بهم الجهل إلى حين يظن الواهمون. وكيف والله تعالى لا يعبد إلا بالعلم! كما تغطي اللفظة ما شاء الله من بدعيين ومشعوذين وتجار دين.

اعلم أن روسيا حاربت الإسلام حتى كاد تنطفئ مناراته، واليوم ما يقاوم الشيوعية في تركستان وقزاقستان وكل البلاد الإسلامية ما بين الفولكا والأورال المحتلة إلا النقشبنديون والقاديون، صوفية يسميهم الاصطلاح وطرقيون، ويسميهم الحق والإنصاف مؤمنين مجاهدين. مدارس إسلامية، ومساجد سرية يتربى فيها جيل مجاهد بحول الله على يد صوفية بلسان الاصطلاح.

في أفغانستان اليوم من يحارب الشيوعيين؟ من يحمل السلاح، من يموت في سبيل الله لينتصر الإسلام؟ المجددون: صوفية أيضا.

الخميني صوفي نقشبندي، هل تعلم؟ والبنا صوفي حصافي: مدارس تربية. وقرأ عن الجماعة الإسلامية بتركيا: جماعة صوفية محض. وهل أحيا الإسلام بتركيا تحت نير أتاتورك إلا شيخ صوفي هو المرحوم سعيد النورسي.

قبل أن نحكم أحكاما مبتسرة على الطرفين نعمم بدون علم، علينا أن نعرف التاريخ، وكل نبضات التاريخ الإسلامي كانت توازي نبضات قلوب مؤمنة مشتاقة إلى ربها مجاهدة إليه سموها صوفية.

اقرأ كتابي محمد أحمد راشد: «المنطلق» و«العوائق» لتعرف قليلا من هم الصوفية. وقرأ كتب أبي الحسن الندوي - وقد سرده بعضهم ممن لا يفقه معاني الإيمان والجهاد في عداد المخرفين مع الغزالي، خاصة كتابه «ربانية لا رهبانية». وقرأ مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، فقد بالغ فيه رحمه الله في البحث على الاستفادة ممن ساهم الاصطلاح صوفية وطرقين. وما الإمام ابن تيمية محتسب التوثيق إلا رجل النصفة حين أشاد بالإمام عبد القادر الجيلاني، وعدّه قدوة من مشايخ الاستقامة وأئمة الدين.

خلنا من الجدل، ولا نشك أن إقامة السنن في أشكال العبادات واجب، لكن أين المحتوى؟ إذا كنت لا تخشع في الصلاة، ولا تبكي شوقا إلى ربك، ولا ترحم العباد وترفق بهم، فما فائدة صيحاتك على صف الصلاة الذي لم يستقم، فتركزت حول إقامة الجهود وتبددت في الخلاف والعنف؟! صل مع التبليغيين، وابك معهم، تجاوزهم وكن داعية يحمي بك الله أمة كما أحيها بأمثال عبد القادر الجيلاني.

كنت أود أن أدعوك وكل الشباب المؤمن أن تقتصر على تلاوة كتاب ربنا، وما صح من حديث نبينا عسانا نتجاوز هذه العراقيل المزمنة

والمصطلحات. لكننا نحتاج لأمثال المجاهد الشهيد سيد قطب ليزج بنا ببلاغة قلمه المعبرة عن بلاغ إيمانه تحت ظلال القرآن. ومتى بلغ بنا الوعي الفكري بعد اليقظة القلبية حيث نسمع أمر الله «بنيّة التنفيذ» كما يعبر سيد قطب، بدا لنا التهافت حول ميراث نجهله، فالتخاذل أمام واجب ملح ظاهرتين مرضيتين، إن الله دعانا للسعي إليه والجهاد في سبيله، هذه هي النقطة، فهل نحن مستعدون أن نلبي دعوته؟ ومتى كان بنا استعداد فلا نموذج إلا الرسول صلى الله عليه وسلم نفعل ما فعل، ونأتمر بما أمر.. كل ما فعل وكل ما أمر.

* رسالة من طالب بكلية الحقوق بالبيضاء لم يذكر اسمه، ومعها لائحة من طلبة بنفس الكلية بدون إمضاء.

- يا عبد الله الذي بدأت رسالتك بالتلبية لنداء الخير!

أشكرك من خالص القلب على ما نصحت في رسالتك، وأنا معك أشكو ما يلاقه الطلبة والطالبات الإسلاميون من مضايقات، وأنا معك على أن المقام يريد شيئاً آخر غير مجرد التجمع في المساجد والدعوة المفتوحة: التنظيم ضرورة ملحة نعم.

تحليلك لواقعنا تحليل خبير بالميدان، لكنني بعد إيلاء عاتبة مثل إيئاءتك على العلماء القاعدين أود أن أقف معك على نقطتين: إحداهما الديمقراطية، والثانية وحدانية الدعوة والجماعة.

أ- أما الديمقراطية فأنت تعلم أنها لعبة نظامية لها قواعد ومنطق، وما نحن بحمد الله ممن يتزلف إلى أحد غير الله فنخاف، ولا ممن يرجو غير لقائه فنكذب. الديمقراطية في بلدنا لعبة تحتمل كل ما في اللعب من هزل وتزوير وكذب. لكنها عروة منها نقبض على الواقع. يقولون أنها عندنا ديمقراطية تتيح لكل الأصوات والاتجاهات أن تعبر وتتنظم وتعمل،

فنقول: هلم إذن أتركونا ندخل المسجد. وما كنا لنعلم إلى أي مدى تكون هذه الديموقراطية نظاما محترما لو لم يمنعونا.

إن هدف كل عمل إسلامي جهادي هو إقامة الدول الإسلامية، والأسلوب في التربية والتنظيم يختلف عليه المؤمنون. التربية الإخوانية هدفت لتكوين جسم عضوي يترعرع داخل المجتمع حتى يحطم الإطار الجاهلي داخل التنظيم في جماعة الأستاذ الرائد المودودي بباكستان، هدف ويهدف لتخلل الصفوف الحزبية عن طريق الانتخابات حتى يصل للحكم ويمسك بالزمام، ويغير المجتمع من واقعه المفتون إلى النموذج الإسلامي، وهو في الطريق التربية والتنظيم الخمينيان هدفا ويهدفان إلى مزج المشاعر العليا لكل المجتمع ضد الظلم، والإباحية، والكفر مع المشاعر الإيمانية، لتقوم حركة موحدة تعصف بالجاهلية.

الأساليب تختلف، وعلينا نحن الإسلاميين أن نتعلم ثلاثة أمور هي:

1. أن تجارب كل الجماعات الإسلامية المعاصرة مع كل حكمة نستطيع التقاطها حصيلة في تناولنا نستفيد منها جميعها.

2. إن الإطار المفروض علينا هو إطار الدولة الإقليمية في حدودها القومية والجغرافية كما ورثناها وكما نعيشها. فأمام هذه الدولة الإقليمية موقفنا ومعها حوارنا، وهي الخصم. لا يعني هذا إلا أن نتضامن مع الحركة الإسلامية الكلية، لكن التنظيم الإقليمي يجب أن يعي موقفه داخل الإطار الموروث، ويتفاعل إيجابا مع التيارات المعادية يخترقها، ومع القوى المثبطة يتجاوزها، ومع صعوبات الأوضاع القائمة يستغلها، ومع القوانين التي تدين بها هذه الأوضاع يركبها لصالحه متحديا لا معترفا بما ينابذ شريعة الله.

يقول بعض الإسلاميين من موافقهم التي نجهلها: «لسنا طلاب حكم!». ونحن نقول مع المودودي ومع الخميني: «إن السلطة أداة ضرورية لإصلاح المجتمع وإقامة الدين». فنحن نطلب أن يتولى المؤمنون مناصب الحكم ويتحملوا مسؤوليتهم. هذا هو البديل عن التفرج في «النخبة» المثقفة تسير بالمركب إلى الهاوية.

لكن لا تظن أننا نرشح المؤمنين أن يكونوا صنائع لهذه «النخبة»، كلا! ما دامت القاعدة المسلمة لما تتحرك، وما دامت القيادة الربانية لما تتنظم، فكل تحرك نحو السلطة لن يكون إلا عشوائية وانتهازية فردية، وضياعا عند أقدم النواميس الخادعة.

ومع هذا، فرجال الدعوة ينبغي أن يستعدوا للتفاعل مع الواقع المتغير في بلاد المسلمين بسرعة لينتزعوا الفرصة، ويفرضوا الحل الإسلامي. إنهم إن ظلوا يفكرون تفكيراً تبعياً أن الأمر لا ينجح إلا إن كان على غرار تجربة سابقة فإنها هم حاملون.

- وهنا نصل إلى النقطة الثانية من النقط المهمة التي أثارها. تقول «أنه لا يجوز شرعاً الخروج عن» جماعتك لتنظيم جماعة أخرى، بل «يجب علي أن أنضم إليكم».

اعلم يا أخي، وقاني الله وإياك شرور أنفسنا، أن من أهم الأمراض الفكرية والنفسية والتنظيمية التي يعاني منها الإسلاميون ترجع إلى ضيق في الفكر، وخضرة في العاطفة يجعلان كلا منا يظن أنه هو وجماعته على الحق وغيرهم خارج ضال.

أما نحن، فلا ندري من وراء التجمعات التنظيمية والمدارس التربوية والفكرية إلا وحدة الحركة الإسلامية. وداخل كل بلد إقليمي لا بد من وحدة التنظيم، لكن على أساس التدرج لا الوعيد بقواعد «شرعية» لا أصل لها إلا

حواجز النزاع بين الإخوة.

إننا لا ننفس على جماعتك سبقها ولا غناها في الميدان، ولا صدق رجالها، لكن البيعة التي تنطق عنها إنما هي بيعة فئة من المسلمين لبعضهم لا تلزم إلا من اختار وتطوع. أما البيعة الملزمة التي لا يجوز شرعا الخروج عنه فهي بيعة «جماعة المسلمين» لإمام رضي.

وتعلم أخي أن لا وجود لجماعة المسلمين ببلاد المسلمين اليوم، إنما هي فئات من المؤمنين على قدر من التربية والتنظيم، تحاول كلها بناء «جماعة المسلمين» التي هي العماد الاجتماعي للدولة الإسلامية. فانظر حفظك الله ورعاك كم من فئة بالمغرب من المؤمنين، فما نبلغ من أمرنا لو قامت كل منها تسمع حديثا شريفا عن البيعة وعن الميتة الجاهلية للخارج عنها، فتؤوله متأولا غير رصين، فتزعم أنها هي «الجماعة»، وأن بيعتها هي البيعة، لكن لو فهمنا الحقائق كما هي، وهيانا للتلاقي والتلاحم العضوي سبيلا كنا أقرب إلى الحكمة.

ما سمينا هذه المجلة «الجماعة» زعما منا أننا نحن «جماعة المسلمين»، إنما نحن فئة تفتح بابا واسعا للحوار، والتقارب، والتلاقي، والتحاب، ووعي الواقع. وبعدها بحول الله تعمل «العناصر الجامعة» التي نناديها على تقريب الشقة وجمع الشمل. رعانا الله وإياك أخي الحبيب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قتلوا المسلمين بالبهتان

* رسالة من الطالب أ.ع. من البيضاء يقول:

أخونا الكريم عبد السلام ياسين: عليكم سلام الله ورحمته وبركاته...

وبعد:

كل الناس هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم إذ هم على مقربة من الرياء، وهو للنفاق سواء، وله مع العصيان بقاء. أما بعد:

نحمد الله ونشكره على أن بعث لنا رسولا منه بشيرا ونذيرا، وجعل معه قرآنا مبينا وسراجا منيرا، وصحابة كراما، وجعل في أمته كل زمن هاديا. ونحمده تعالى ونستغفره أن جعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين.

وإني أسأل من كل قلبي أن يجازيك الله خير الجزاء، إذ جمعت شبابا متهافتا، وإخوانا طامحين على ضوء مجلتكم المعنونة باسم «الجماعة»، ونسأل الله أن تكون فعلا الجماعة التي يصبو إليها كل مسلم مجاهد، والحركة التي يطمح لها كل مسلم في هذا البلد.

والذي يهمني كثيرا في هذه الرسالة هو أني قرأت خلال هذه الأيام في جريدتين مغربيتين كلاما لا أصل له سوى البهتان والكذب والافتراء. وهو ما نشر عن جماعة «الإخوان المسلمين» الأبرياء، واتهامهم بالقتل والتهديم والاعتداء على الحرمات. ففرجوا أيها الأخ الكريم أن تنشروا مقالا في عددكم المقبل حول هذا «العار» الذي يعتبر آفة وطعنا في الإسلام والمسلمين، وهراء ما أنزل الله به من سلطان. ونسأل الله لنا ولكم التوفيق وحسن العون، وجزاكم الله خيرا.. والسلام عليكم..

* ورسالتان من الطالبين ص. عبد الله وأخ لم يذكر اسمه، يطلبان أن ننشر شيئا في فضح المؤامرات على الإسلاميين بسوريا، وفي المطالبة بتعجيل محاكمة الإسلاميين بالمغرب. وقد فعلنا، فشكرا للأخوين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجهر بالحق

* رسالة من طالب بالثانوي عمره 15 عاما هو الأخ: ن.م. نشرها استحسنانا لمشاركة الأشبالي يقول:

كثير من الناس يعرفون الحق، ولا يتقادون إليه اتباعا لهوهم أو كبرياءهم، أو حدسهم أو تعصبهم الأعمى. قال الله تعالى في أخبار اليهود: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: 146)، هؤلاء هم المنافقون الذين لا يقبلون نبوة نبي إلا إذا جاءهم بما تهوى أنفسهم. قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنَّا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ لَوْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة البقرة: 87).

هكذا كان الصراع بين الحق والباطل. فمن سكت عن الحق فهو منافق يملكه الشيطان، ومن طلب الحق ضحى من أجله وتعرض لكل أنواع الامتحان، وربما أدى به إلى الموت في سبيل الحق، في سبيل الله.

والجهر بالحق علامة تمكن الإيمان في القلب، وواجب أمر الله به كل مؤمن حسب قدرته ومسؤوليته. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». إذن تغيير المنكر يختلف حسب درجة إيمان الفرد. هناك قوة وهناك ضعف في الإيمان. من يغير المنكر بالسيف؟ من يغير المنكر باللسان؟ هل الكل في استطاعته أن يفعل ذلك؟ وهل تغييره حتى بالقلب في استطاعة من لم يتمكن الإيمان في قلبه؟

الجهر بالحق سمة العلماء الصادقين، ومصدر عزمهم في الدنيا وتكريمهم في الآخرة. أمتنا في حاجة إلى من يدعو إلى الحق ويجهر به. شبابنا في حاجة إلى من ينير طريقه ويرفع عنه أنواع الظلم الذي

يعيش تحت وطأته. يوم يرى الشباب الحق بارزا وأصحابه لا يخافون في الله لومة لائم، يصحون من الأمراض التي تمزق أجسادهم وأخلاقهم. وكيف يمكن لعقول ما زالت في طريق تكوينها أن تعرف الحق والقدرة الصالحة منعدمة في البيت والمدرسة والشارع؟ أين المنزل القدوة؟ أين المدرسة المربية؟ أين المجتمع الصالح؟ من المسؤول؟ المدرسة مسؤولة عن تربية الشباب داخل المؤسسة. لكن، من يربي الأب والمعلم والتاجر والعامل؟ أيتكون مع أهواءهم واختياراتهم المختلفة؟

أختم موعظتي هذه، بكلمة قالها عبد الله بن الزبير: «والله ما عز ذو باطل ولو طلع من جيبه القمر، ما ذل ذو حق ولو اجتمع عليه أهل الأرض. إن لا تباع الحق ثمرة حلوة ولا تباع الباطل ثمرة مرة لأن الباطل كالرغوة المتفخخة وكالزبد على سطح الماء يعلو قليلا ثم يتلاشى ويختفي ولا يبقى إلا الماء الخالص والنبع الأصيل».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* رسالة من مجموعة شباب مسلمين بطنجة.

- نشكركم على الإيجاز والوضوح، ونرجو من القراء الكرام أن يجتنبوا المطولات. نجيب عن أسئلتكم:

1. أخونا إبراهيم الشرقاوي الذي أعلن انضمامه إلينا في العدد الماضي -أي انضمامه للصف الإسلامي فلسنا نعمل للزعامات المفرقة- رجل أعمال. إنه مضطر بحكم عمله وبمقتضى التنظيمات الإدارية المفروضة أن يتعامل مع البنوك، ويستفيد من التسهيلات البنكية في الصرف والتحويل الأداء بالحساب الجاري، وهذا الحساب الجاري لا يترتب عليه ربا يدفعه المصرف لزنائمه، بل رسوم يدفعونها هم أجرة لخدمات المصرف. أما الربا فتدفعه المصارف للحسابات المودعة. وصاحبنا سألته فأكد لي أنه لا

يأخذ الربا، ولا يودع أموالا طلبا لربا، بل ولا يقترض بربا.

والمشكلة الثابتة بعد سؤالك هي مشكلة بناء اقتصادنا كله حول التمويل الربوي. فهل الحل أن يقطع رجال الأعمال الإسلاميون المصارف ومجاري المال الربوية، وهم لا يستطيعون لقلتهم وتشتتهم أن يبنوا اقتصادا إسلاميا داخل هذا الاقتصاد الجاهلي، فتبور تجارتهم وتفنى أموالهم، أم يتحرون الحلال فرادى ريثما ييسر الله لهذه الأمة سبيلا لتخرج من حيث يؤذنها الله بحرب لتعاملها بالربا؟ الجواب يتوقف على مدى وسعنا الفكري في الاجتهاد. فمن الناس من ينظر للأمر نظرة ذرية ولا يستطيع أن يتصور مستقبلا إسلاميا لأنه لا يتسع أفقه لقبول الواقع الحالي كمنطلق ضروري منه نبدأ. وهذا الواقع كل مشتبك، الاقتصاد الربوي جزء منه والحكم بغير ما أنزل الله سبب فساده.

2. لا تفاهم بيننا وبين أي حزب سياسي مهما كان. إنما نداؤنا موجه للرجال والنساء السائرين تحت الرايات العمية. ومعنى التوبة إلى الله رجوعنا جميعا لأمر الله، لكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. الأحزاب تنظيمات وتضامات على المصالح والأهواء، وتوبة الرجال والنساء خروجهم من ظل طاغوت الهوى المشخص في التنظيمات ليرضوا بحاكمية الله بانضوائهم تحت لواء لا إله إلا الله محمد رسول الله. نحن نبحث عن وسيلة وحيلة ومنهاج وعمل ليقوم حزب الله في هذه الأرض، ويومئذ فكل التنظيمات من حزب الشيطان. أما قبل ذلك فإنها هي فتنة وهذه التنظيمات الحزبية أحجولات من نسج الهوى تسيرها عناكب في حضن الشيطان، والرجال والنساء المتهافتون ضحيتها. ونحن بالطبع داخل هذه الفتنة وضحيتها أيضا، نحاول بها أمدنا الله من إيمان أن نجلو ققامتها ونتبين أبعادها لنرسم ثم نسلك مع المؤمنين الفج الواضح الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج بإذن ربه الناس من الظلمات إلى النور.

3. ما قصدنا حين ننتع أخا لنا بالفقر المدقع إهانتة، بل الفقر اليوم صفة الشعب، والفقر وسط بيعة تسودها الرشوة والنهب والتمول السريع مفخرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خاتمة في النصيحة

فتحنا ابتداء من هذا العدد بايين آخرين للالتقاء والحوار هما «منبر المؤمنات» و«حوار».

نرجو أن يفهم عنا أن هذه المجلة أداة علم وعمل، والالتقاء الفكري والمناظرة أمثل سبيل لإيضاح المبهم وكشف الأوهام وحث الهمم. فلذلك نحب أن يكتب إلينا المؤمنون حتى ولو أصبحت كل صفحات المجلة مخصصة للحوار. لكن نحب الإيجاز مع الوضوح في الفكر والخط. المهم أن يدرك القارئ أن هدفنا ليس البحث الأكاديمي، بل تعارف المؤمنين وصهر الأفكار ووجهات النظر.

كنا أشرنا على الطلبة بالخروج مع التبليغيين في الصيف. وكانت هذه الجماعة مضطهدة محلولة. وإثر إشارتنا، نظمت الجماعة مهرجانا استدعينا إليه فلم نحضره لما علمنا من أن موقفنا يختلف جذريا عن موقفهم فيما يرجع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هم يرفضون الدخول فيما يسمونه سياسيات، ونحن نرى أن الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا فرض عين على المؤمنين سيما عند احتدام الفتنة.

سميناهم أبارارا ولا نزال، ووصينا بالاستفادة من تربيتهم باعتبارها مدرسة أساسية ولا نزال. حوارهم مع الحكام غير حوارنا،

لكن هم إخواننا يحملون ما أحل الله، ويحرمون ما حرم على النطاق الفردي والاستعداد لديهم ليعلموا ما حرم الله وما أوجب على جماعة المؤمنين.

قوم يحبون الله ورسوله فهم إخواننا، ويتعقد الأمر باختلافنا معهم الواضح الصريح الأساسي في المسألة الجهادية، لكن هذا الاختلاف يشملهم مع سائر القاعدين من علمائنا وسائر الجمعيات التي تنص في ميثاقها أنها بريئة من التدخل في السياسة الداخلية للبلاد. من كان يعطل أمر الله المؤكد الأكيد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مسؤول بعوده عن فساد الدين.

هل هؤلاء القاعدون المسبحون لله باللسان وللقوة بالفعل أعداء لنا فنبتذهم ونشهر عليهم الحرب؟ كلا ثم كلا! ما ينبغي للعاقل أن يترك للذئب أخاه وابنه إذا نازعه الذئب وكان للذئب أنياب تحيف وإغراء بالقوة، بل يجب أن ينازع الذئب الأخ والابن. هؤلاء الخائفون وغيرهم من القاعدين يتأول أو كسل هم ذخر الغد، ولعل من بينهم من يكون أنشط للعمل وأقدر عليه يوم تنجلي الكرب وينكشف الطوفان عن غد الإسلام بإذن الله.

لا نزال نوصي طلبتنا المؤمنين بالاستفادة من مجالس الخير أمام فقهاءنا في المساجد، وفي صحبة رجال التبليغ خروجاً في سبيل الله، ومع كل معلم للخير ومعين عليه وسائر في سبيله ولو خطوة.

وعلى طلبتنا الأعضاء أن يسعوا بالوسائل الإدارية لتأليف جمعية طلابية ليكون لهم وجود قانوني. وقبله عليهم أن يحلوا بأنفسهم مشاكلهم المترتبة على الخلافات الماضية والنزاعات والولاءات. وليجتهدوا في خلق جو حي بالإيمان وأن ينظموا لقاءات ومحضناً يأوي إليهم شبابنا الضائع. كلمة الخير، والتذكير بالحق، والإلحاح جداً على أن الإسلام عدل ثم عدل، بهذا يجب أن تخاطب المروءات الكامنة في الشباب الضائع،

واعلموا أحبتي الطلبة أنكم إن أعطيتهم مثال الطهر، والاستقامة، والوجد، والحرص على العلم، والتقوى في الدراسة، مع الوجه الطلق، واليد المفتوحة، ستغلبون دواعي الحق، والعنف، والانتحار الخلقى، والإغراق في السلوك الدوابي لدى الشباب الضائع البئس.

لا أدعوكم للرخاوة والتذلل لغير المؤمنين، فمن الناس، بل جل الناس من لا يحترم إلا القوة، والله عز وجل يحب المؤمن القوي. لكن لا تجعلوا أساس عملكم «الحوار العضلي»، كونوا رحمة ونظموا للعام الدراسي المقبل حملة للدعوة، بينوا للشيوعيين وغيرهم من التائهين أن الإسلام يعني في حق الفرد الكرامة، وفي حق المجتمع العدل، وفي حق السياسة الشورى بين المؤمنين، وهو الرسالة الخالدة والحضارة ذات الوجه الإنساني التي ينشدها العالم، بشروا بعملية الإسلام وبيّنوا ضيق الإديولوجيات وإقليميتها. الاشتراكية العلمية التي تعرض في السوق بضاعة بارت في أوروبا فحذروا الشباب من أكل الطعام البائت، والاديولوجية الماركسية أفلست فكريا فحذروهم من البقاء مع موضوعة بالية.

علموهم بسلوككم ووجهكم الطلق وكلمتكم الطيبة وهديتكم الأخوية في مجلس تدعونهم إليه برفق أن الإسلام هو الأدمية وهو التقدمية وهو المذهب الراسخ في التاريخ المتفوق في المضمار الحضاري، علموهم أن شخصيتنا مسخت كأفراد وكجماعة، وأن الإسلام ليس مسؤولاً عن تدهورنا التاريخي بل خروجنا عن الإسلام وابتعادنا عن تعاليمه هو السبب.

اتخذوا هذه المجلة فهي أمس بواقعنا إلى جانب الكتب والمجلات الإسلامية أداة للحوار والإقناع والتعريف بالإسلام خاصة من حيث كونه كرامة وعدلا وحضارة متفوقة.

تضامنوا في الكليات والمدارس، وأغثوا المحتاج وشجعوا الكاسل، وليكن خيركم أسبق للناس من بأسكم، كونوا إخوة متحابين رفقاء بينكم رحماء.

ثم ليكن أمركم بينكم شورى، تحابوا في الله واخلصوا وجهكم له، ولا تنازعوا على الرئاسة ففشلوا وتذهب ربحكم حماكم الله.

وإياكم والخصوم في الخلافات، ثم اشرحوا لمن تدعونهم أن الإسلام دعوة كلية لتجميع المؤمنين وتربيتهم وتنظيمهم حتى يكونوا قوة تقوض الطاغوت، ما الإسلام اقتصار على أحكام الحيض والنفاس وسجود السهو، الجهل بالإسلام فاحش فتعلموا وعلموا.

زوروا كل الدعاة على تباين مشاربهم، فأنتم أقدر العناصر على تقريب الشقة. حببوا إليهم بترددكم عليهم الوحدة والاتساع في الفكر والعاطفة والانفتاح على الأخوة الإيمانية. فأنتم أقدر العناصر على ذلك. كونوا حركة دائمة لكن إياكم أن تشتتوا في النشاط الحركي. اتخذوا لأنفسكم حزبا من القرآن واجعلوا وجه الله عز وجل قبلكم ورسوله صلى الله عليه وسلم قائدكم وإمامكم ونموذجكم. اجتهدوا بالعبادة أن تتمن صلتكم بالله لكيلا يتخطفكم طير الهوى. طهروا قلوبكم وزكوا هذه النفوس بذكر الله، ذكر اللسان حتى يرسخ الذكر في الجنان ويصبح كلامكم كله مخلصا لله وعملكم كله موجها إليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

منبر المؤمنات

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: 35)، صدق الله العظيم.

ما كان لأمة تريد الحياة أن تضعف الأسرة فتمتت بذور الحياة في منابت الحياة. والحياة الإيمانية تقتضي تعاون الزوجين ، تعاون المؤمنين والمؤمنات، تعاون العلماء والعالمات، تعاون الدعاة والداعيات، تعاون الطلبة الإسلاميين والطالبات في الميدان الأشد خطورة والأبعد أثرا في مستقبل العقيدة، ميدان يتنازع فيه الباطل مع الحق.

إن الله عز وجل قرن في الآيات البيئات الرجل والمرأة مسؤولية كليهما جزاءه، وجعل للرجل والمرأة في شريعته مسلكا وواجبات وحقوقا يجهلها ويعمل على تجهيلها من يدعون الناس للفساد والضلال والإلحاد، وأجهزة إعلامنا لا تألوا جهدا بما تعرضه من نماذج الفحشاء مختلطة مع مواعظ العلماء في تعمية الأمور علينا.

لذلك نفتح للمؤمنات بابا يعبرون فيه عن ولائهن لله ورضاهن بحكمهوهو حرصهن على طاعته ونيتهن وإرادتهن في الجهاد في سبيله.

نحب من أخواتنا الطالبات المؤمنات أن يعلن عن التزامهن بستر الجسم وضرب الخمار كما أمر الله. لا تعتقدن أن من يجب عليكن دعوته من أخواتكن الضائعات سينفرن من الحجاب الشرعي، بل ذلك أدعى - إن كتنن من الشجاعة والرفق بحيث تقاومن من يجاربون الله ورسوله دون أن تضعفن - أن تجلبن الانتباه لتبدأن في حوار الدعوة وبيان الحقائق.

الرجال والنساء من المسلمين مطلوبون للرضى بحكم الله. وأنتن أيتها المؤمنات الملتزمات مطلوبات لجهاد الدعوة والإعلان دون هواده عن تشبكتن بدينكن، فهذه الصفحات منبر لكن. تناقشن واكتبن واسألن وأجبين. وفقكن الله لما يحبه ويرضاه. والسلام عليكن ورحمة الله وبركاته.

* وهذه الرسالة من الأخت ن.ب. من مراكش:

سيدي مدير مجلة «الجماعة» أحبيك تحية إسلامية وأرجو لك من الله الصحة كي تصمد في عملك الجهادي.

وبعد، أكتب لمجلتكم كي أعبر لكم عن مدى سروري بها. أنا يا سيدي طالبة بكلية الحقوق ومسلمة، طالما أحزننا ما نراه من انحطاط في الأخلاق وانغماس في بحر الجاهلية - ما أرى إلا شبابنا يضيع يوماً بعد يوم وحيوانيته تحيي وتنمو وتزدهر على حساب إنسانيته يوماً بعد يوم، مشجعة بأفكار خاطئة عن الإسلام، وأفكار أعمق خطأ عن الشيوعية من طرف الدولتين السائدتين في عصرنا، من طرف رأسمالية امبريالية هوجاء، وشيوعية عمياء.

سيدي، مجلتكم تبعث في قلبي أملاً كبيراً، ألا وهو أمل اللقاء والحوار مع شبابنا الضائع المسكين، نعم ألح وأقول المسكين، المسكين حالته يا سيدي لا تستحق الأزدراء بل الشفقة الكاملة، شبابنا في حالة يرثى لها ولا يستيقظ لأنه شباب له قلب كبير وعقل حائر! إنه يتألم لما

يراه من ظلم اجتماعي ويتألم ألما حقيقيا: أليس هذا دليل على أصالته وورقي مشاعره؟ زد على هذا أنه مستعد للموت من أجل مبادئه: نعم سيدي للموت: أليس يستحق المجد لو لم يكن شابا مخدوعا مخذولا. خدعوك يا شباب وعلموك الاشمئزاز من الشيء الوحيد الذي بإمكانه أن يفتح لك بابا إلى ما تسعى إليه بل أن تفتح لك بابا أوسع: الإسلام.

نعم كره شبابنا «وكيف لا يفعل» الإسلام الايديولوجي: الإسلامي الرسمي الذي يظنه الإسلام المحض الحقيقي، لكن ما ذنبه إن كان من يعلمه دينه قوما «يقولون ما لا يفعلون»؟ ما ذنبه إن كان الخائنون فنانيين في الغش وإخفاء الحقيقة؟ ما ذنبه إن كانت أراذل البشرية تسود وتسوس؟ من يا سيدي سيرضى بما يظنه ديننا سلبيا يرضى الظلم والاستبداد؟ من بالله عليك! أن لو لم يمن الله علي بمعرفة الإسلام الدين الحنيف الحقيقي كنت سأختار لا محالة الطريق الأقرب إليها، أو على الأصح كنت سأظنه الطريق الأقرب، ألا وهي الطريق الماركسي الشيوعي، ولكن الله لم يرد لي الشقاء، ولذا أريد يا سيدي أن اتصل عن طريق مجلتكم المحترمة بفتيات مؤمنات كي نجمع أفكارنا ونستعد للعمل الجهادي، نبتدئ بالحوار الأخوي مع فتياتنا الضائعات فأمل أن لا تكون كمن فهموا الإسلام فهما خاطئا فيما يخص المرأة، وأن تعطينا الفرصة للقاء - فالمرأة أخت الرجل في الإسلام. أنا ألا أعني أبدا أنني أطلب بالمساواة الغربية الحمقاء العمياء: أبدا! ما أريد أن أقول هو أن للمرأة مكانة عالية في الإسلام، وأن لها حقوقا في الجهاد ونشر الإسلام. أرجو أن لا تخيب ظني والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نشكرك على رسالتك، جعلها الله فاتحة تعارف بين المؤمنات وعزم الله لنا
ولهن.

وصفت حالة الشباب في الجامعة وذكرت بواعثه للميل إلى المذاهب الضالة. نحن نوافقك تماما على أن غفلة الإسلاميين عن الإلحاح على نقطة العدل الاجتماعي، وأنها أساس في العقيدة والنظام الإسلاميين. سهلا على دعاة الباطل أن يقنعوا الشباب أن الإسلام يعني الإقطاعية والظلم الاجتماعي وإلى التخلف المادي. وسهل عليهم ما يشاهدونه من تلاعب بمبادئ الإسلام لتبرير الظلم والفساد. وسهل عليهم قعود العلماء ومماراتهم في الحق.

أقترح أن يكون برنامج كل مؤمن ومؤمنة من ذوي الغيرة والاستعداد لهذه السنة دعوة ومساعدة وتوجيه عشرة من الشباب للإيمان. ويقتضي هذا حركة وزيارات ونشاطا دائما وبدلا وبشاة وتعاوننا وتقاربا بين كل الإسلاميين، المؤمنات منهم والمؤمنين.

وفقك الله وإيانا جميعا للعمل على تبليغ الحق لطالبيه. ووفقنا لتنبيه الغافل عن الحق حتى يطلبه، والقاعد عن نصرته حتى يقوم للجهاد في سبيله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حوار

هذا باب لرفق الكلمة، والجدل بالحكمة، والرد بالتّي هي أحسن. ونعوذ بك اللهم أن نجهل أو يجهل علينا.

إن طبقتنا المثقفة شطران: شطر رضع من اللغة العربية ما تحمله اللغة وتراتها الإسلامي من معاني الإيمان على المستوى الإيماني الذي يعيشه ويمثله ويدعو إليه العلماء المعلمون، وهذا التعليم «التقليدي» أخذ في الاندثار مع النزول التدريجي للمستوى الخلقى والعلمي والالتزامي لمدرسيه. وطائفة أخرى من مثقفينا، وهم بالطبع لا يعترفون للشطر الآخر بأية أهلية ثقافية، رضعوا مع اللغة الأجنبية، وبعضهم رضع من عريية الخواجات، فكرا لا مكان فيه لله ولا للنبوءة ولا للأخلاق إلا كفلسفة نسبية.

العقلانية المتأهة منهاج المثقفين المغربين، واللفظية منهاج التقليديين كما يراه مناظروهم. أولئك محورهم ومثلهم الأعلى ومرجعهم الوحيد وبضاعتهم الفكرية ورصيدهم الحضاري ما أنجزه الغرب وما فكره وما نظمه وما أثله. وهؤلاء منهم من لا يقوى على إعلان ولائه غير المشروط لله ورسوله، وعزته اللانهائية بالإيمان والصلاة والعقيدة والمنهاج الجهادي، أو لا يقدر على الإفصاح عن فكره والتزامه لعله في اللسان أو المنطق العقلي أو مجرد فرص اللقاء والحوار. فيتعذر التفاهم وتتقطع العلاقات وتنبت أشواك القطيعة حيث كان يجب أن تمهد طرق تبادل الرأي والإقناع.

فهذا باب دائم بحول الله في مجلتنا هدفه اللقاء للتبادل الفكري. ونعلم بالتجربة أن غلق الأبواب والتزمت أسلوب غير إسلامي يتذرع بدعوى فارغة... بدعوى فارغة أن الحب في الله والبغض في الله يقتضي مقاطعة بداية جيل يجهل الإسلام كدعوة لأنه لا يعلم عنه إلا وجهة نظر من ينطلق من الغرب بداية وينتهي لقيم الغرب وعقائده وفكره نتيجة.

كثير من مثقفينا المستغربين منهم والآخرين ينتظر من يدلّه على الإسلام ويناقشه فيه ويفتح صدره لاعتراضات كثيرا ما تكون ناشئة عن رغبة صادقة في كشف الحقيقة.

ونحن بحمد الله حين نكتب إنما نكتب بلهجة الاقناع العاطفي-الفكري على الأسلوب القرآني. فنضطر هنا أن نتخذ من المنطق ما يساير ذهنيات من نحاورهم. لا شأن لنا بتعقبات بعض الإسلاميين المبتدئين الذين يتهمونا بالثقافة الغربية وكأنها زندقة ليجردونا من مؤهلات الدراية الإسلامية. ولا شأن لنا بمن لا يجب أن يدخل معنا في حوار لأنه يعتبر قولنا البليغ في أنفس الكافرين والمنافقين سبا وتهيجا. وأن مقياس القول في مثل مقامنا أمام الظلم والكفر يحكمه قول الله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (سورة النساء: 63). ويحكم حوارنا مع من يطلبون حوارا قوله جل شأنه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: 125).

فمقام الخطاب العام القول البليغ، وهنا حوار هادئ مسؤول إن شاء الله تعالى.

إسلام وراثي

كتب إلينا الأستاذ م.ل. من الرباط (وإخاله اسما مستعارا) رسالة طويلة. فنطلب الإيجاز ووضوح الخط. وسأرد عن الرسالة فقرة

بفقرة مع إيجاز ريشما يتخذ الحوار مجرى وتتوسع دائرته. يقول الأستاذ:

في ظل الانفتاح الموهم والحرية المحروسة ظهرت في السوق مجلثكم «الجماعة» (العدد 1 و 2) تدعمون العمل في واضحة النهار... مرحى! الأحزاب الأخرى أيضا (وأنتم ترمونها بالكفر وشتى أنواع الزندقة). لم تسمح الظروف بلقائك مع أننا أبناء نفس البلدة، تتلمذ عليك أصدقائي ومنهم من تأثر بك في مدرسة المعلمين، ثم في الرباط، ثم أيام العزلة أو العزل... قرأت فقرات من كتابك «الإسلام غدا».

عندي ارتسام واحد عن شخصك (الخيالي) بالنسبة إلي، هو أنك من النوع الذي يعيش تجاربه بعنف ويعبر عنها بعنف، ويترك إشعاعا حوله، وفطر على الريادة، من ذلك النوع الذي يحيط به غيره ويستمتع إليه، يحرك الأفتدة ويهزها دون تحطيمها أو تغييرها وحتى إن كان هناك تغيير فيكون عادة داخلها هينا لطيفا لا يصل إلى القشرة ويبقى باطنيا مستورا خفيا.

يجب تسجيل ملاحظة أولية قبل الدخول في بعض الأمور التي أطرحها عليكم، وهي أنني أعلن الإسلام الذي تدعون إليه بالوراثة كمعظم مواطني المغاربة، ولا أتحمس لأي دعوى سلفية، أتفق معكم مبدئيا أن «المسلمين» في المغرب (وفي العالم الإسلامي أيضا) دخلوا هذا الدين بالقوة وأخلاقهم معظمها من الموروث الميثي، الإسلامي الأرثودوكسي يكاد يحدد في الفقهاء على مر العصور، وفضائهم معروفة في التاريخ، أما الشعب فقد كان قديما يساق بالدعوة تلو الدعوة. جماعة المرابطين والموحدين والسعديين والعلويين، كلها من أصل الفقهاء الذين احتلوا على النظام باسم الدين، وتلك سنة التاريخ في المغرب.

إن تاريخ المغرب لم يكتب بعد، والمعرفة به ضرورية لفتح آفاق المستقبل وعلاقة الإسلام بالمغرب غير واضحة - إن أشد الناس دعوة

للإسلام هم الكافرون به، وعلى أي حال فالإسلام في تاريخ هذه الأمة بكل عيوبه ومحاسنه، وهو كدين اختلطت به أمور كثيرة يكون ضميرها والهاجس الأخلاقي الذي طغى على لا شعورها.

الإسلام الذي تدعون إليه غير موجود، ولم يوجد قط، إن هو إلا مجموعة من المثل العليا رسخها الخلف في الوعي الاجتماعي للجماهير المسلمة، حياة الرسول وحياة الخلفاء هي نماذج صالحة للاسترشاد بها كنماذج أخرى في تاريخ البشرية عند الهنود والصين وأوروبا...

إنكم عندما تطرحون دعاوي الرجوع إلى (الجهاد الإسلام) ! تكفير الأحزاب الوطنية -تجسيم الناصرية- الإطاحة بالقومية العربية الخ.. لا أفهم ما تعنون؟! وعندما تفسرون هذا الجهاد الإسلامي بأنه جهاد بدون عنف طبقي يزداد الغموض أكثر!... ماذا تريدون بالضبط؟ هل هناك تغيير يطرأ في الحياة والناس بدون ألم، بدون ضحايا، بدون تدابير... أعيدوا قراءة التاريخ).

دعا المسيح إلى مد الحنك الآخر للمعتدي..ولكن الذين نشروا المسيحية استعملوا السيف بدل الحب، لا يوجد إصلاح بالوعظ البحت... وقراءة التاريخ الحاضر والماضي تفيد في ذلك... إنني لا أفهم هل دعوتكم هذه أخلاقية؟ الذكر الحسن (سيادة الرسول أو غيرها) -إكرام الوالدين- اختبار النفس ومحاسبتها الخ... (من 119 العدد 2)، لها طابع صوفي معين. وحيث لا نجادلك في شيء... أنت حر أن تتوسم الإباء في تقاعدك بدون ضجيج... أم أنك تشعر أن لديك رسالة اجتماعية (فأنت تسمي مجلتك بالجماعة)، أي أنك تسعى إلى التأثير في المجتمع بشق طريق معين نحو أهداف معينة؟!!

إن كان الأمر هكذا، من حقنا أن نجادلك، نحن لا نتكلم من موقع

واحد، ومع ذلك فإننا لا نرميك بما ترمي به إخوانك المواطنين من نعوت الشتم والنفيسة، لا لشيء إلا لأنهم لا يشطّحون في الزوايا ولا يطلقون اللحي ولا ينفخون في شخص عمر بن الخطاب، ولا يؤلّهون الرسول وصحابته... الإسلام تاريخ هذه الأمة كما أن من تاريخها الحضارة البونيقية والزنجية وحضارات البحر المتوسط، هذه معطيات تكون الإنسان المغربي أحب من أحب وكره من كره... نحن لا نجادلك أن المجتمع المغربي مهتز، وقد ساهم في تفسخه عوامل عديدة، منها ما هو تاريخي ومنها ما هو معين حالي، الدين في حد ذاته أحد هذه العوامل الخطيرة التي يمكن أن تكون عامل إصلاح أو عامل إفساد ولحد الساعة كل الذين تشدقوا به جعلوه قميصا للكذب على العامة، من الصعب جدا (بل من الخطورة) التركيز على الدين وحده واعتباره ذلك المسحوق السحري الذي يقرب الدنيا رأسا على عقب، التاريخ يعلمنا أن الدين جاء في جهات من العالم وفي فترات من التاريخ مختلفة للإجابة عن أسئلة كانت مطروحة على الإنسانية، فأجاب وأحسن الجواب أحيانا (الحضارة الإسلامية الوسطية)، وأخطأه في أحيان كثيرة (إحياء اليهودية - البهائية - القاديانية الخ... العصر الذي نعيشه يطرح علينا أسئلة أخرى أشد تعقيدا وأكثر خطورة: الموقف من التحرر من قوى الامبريالية المسلحة بالتكنولوجيا وعلوم السبرنتيك. العصر تجاوز «ماو تسي تونغ»، وأصبح لينين بله مركس و«هوشي منه من الكلاسيك.. شهداء العصر ليسوا هم الحسين في كربلاء أو عبد الرحمان الغافقي أو العباس بن فرناس (شهيد العلم) الخ... إنما هم: بن بركة - غيفارا - بن بلة، عمر بن جلون الخ...

- ما الموقف من الصراع الدائر على توزيع إفريقيا؟

ما الموقف من تحرير الاقتصاد والسياسة، من انعتاق الأمة لتبني مصيرها بيدها وتحقق وجودها على هذه الأرض؟ الخ..

المواقف متعددة، والأسئلة التي تطرحها أكثر تعددا..

من السهل أن يغلقت الإنسان على ذاته، وينساق في التسييح وتعذيب الذات وشتم الأخلاق المنحرفة عن الإسلام.

من السهل رمي تجارب الأمة العربية بالنقصان، فيصبح عبد الناصر سفاحا وحركة البعث خارجية، والتقدمية تصبح مبطنة بالكفر والإلحاد...

إن البضاعة من حيث هذا المنحى التي تقدمونها موجودة يظل الشيوخ في المساجد يجأرون بها، يحيفون الناس من عذاب الآخرة ويغرقونهم في النعوت التي ترشح صاحبها إلى الدرك الأسفل في الجحيم، وهو تقليد دأب عليه المغاربة منذ القدم، هناك بعض الفقهاء الذين فطنوا للعبة ولم تكن حياتهم هينة (المهدي بن تومرت)، (اليوسي)، (مولاي العربي العلوي)، ومنهم من انتهى بشكل تراجيدي (الونشريسي) الخ... إن فقهاء هذا العصر يجب أن يكونوا من نوع آخر، لا يحفظون الفقه وحده، ولا يرددون الذكر، ولا يحاسبون أنفسهم تلك المحاسبة الحيوانية (أو الجهرية)، بقدر ما يجب أن يحفظوا أصول الاقتصاد ويرددوا الإحصائيات الخاصة بجغرافية الجوع، ويرتلوا تاريخ جهاد الأمة الفعلي ضد الاستعمار المكشوف والمختفي، ويفهموا حركة الجماهير المغربية في معاناتها للتجربة الحزبية والنقابية الخ..

لا تحتجوا علينا بالخميني وجماعة المعتمين بالسواد، فالحركة لم تثمر بعد، وقد علمتها فجاعة مصدق ألا تكتفي بالبكاء على الحسين وترتل فقه الشيعة، فجاءت معها من «نوفل لوشتو» بجيش من علماء السياسة والقانون والنظم الاقتصادية لبناء الجمهورية الإسلامية... لقد انتقدتم على الحركة «الإسلامية» تفرقها، و(جماعتكم) تقوم على هذا المبدأ بالذات... أي مبدأ التفریق والتمزيق... أنتم وحدكم على حق، وسواكم في ضلال! إذا فهمت ما تدعون إليه، يصبح كل المغاربة كفرة، و«جماعتكم» وحدها تحتكر الإسلام «الحقيقي»، لقد قلت لكم أن حركتكم إذا كانت «جوانيه» فلا لوم ولا عتاب، فذلك شأنكم، لكنها إذا طمحت أن تصبح

اجتماعية، فلنا الحق في محاسبتها...

هناك انفتاح موهوم حاليا يرمي الواقع إلى أهداف محددة، فالديموقراطية في الدول المتخلفة تجربة لم تنضج بعد، ولا تمر عادة على النظام الذي يتبناها بخير (محاولة الشيلي - تجربة لبنان - تجربة تونس الخ)، لذا عملت الأجهزة الحاكمة على خلق جو ظاهره ليبرالي (ديموقراطي) وباطنه تقييد حركات الشعب وتشويه إرادتهم بضرب بعضها بعضا، خلق القوى والقوى المضادة، وتميع الشعارات، وإفراغ المبادئ من محتواها.

إن الأحزاب الوطنية على علتها تجربة لمحاصرة النظام، فعمد النظام على محاصرتها بدورها بتعدد الأبواق وتعدد المنابر، وهكذا تنهك الأمة بتحزبها المبالغ وانقسامها على نفسها إلى حد التفتت.

كل منبر قابل للتشجيع، وحتى إذا لم يوجد، يعمل النظام لإيجاده، وهو قابل للترعرع ما دام يهدد منبرا آخرا، والمهم أن يبقى الحكم ممسكا بصفارتة في مأمن يدير اللعبة والآخرين يعرقون داخل الحلبة في الجري على بعضهم بعضا، إنه يضع قواعد اللعبة والجميع يوقع معزوفته، ومن زاغ عن الصراط المرسوم يعاقب أو يخرج من الحلبة. اسمح لي يا سيدي أن كلامي له سجع آخر، نحن أبناء بلدة واحدة ووطن وواحد، ولكننا نختلف في الرؤية، لا يدفعني وازع ديني (فديني الحقيقي هو الوطن والجمهير وتاريخها وعذاباتنا)، ولا تحزب أعمى.

لقد سمعت عنك ما سمعت عنك من أصدقائي وكلي إعجاب بك. وكل ما أوده أن تبذلوا بما ملكتم من قوة تأثير وقدرة على الاقناع جهودكم لخدمة الوعي الجماهيري بالمغرب، فلكل عصر رجاله، وما يحتاجه الوضع عندنا رجال من صنف آخر، لست أدري ما هو، على أي حال، لن يكون ذلك الصنف من الذين يخنفون في الماضي وحده، الماضي في ملك التاريخ

والتاريخ جزء منا، اعتباره شيء أساسي، لكن التشبث به وحده ضرب من القصور والعمى.

لقد أريد لمراكش أن تكون مرتعا لمفاسد السياحة، فأصبحت سوقا للدعارة وبيع الحشيش، وخطط لأبنائها أن يكونوا من القوادين وبائعي الشمس والهواء والذمم...

فاس مدينة العلم، والرباط عاصمة الدولة، والبيضاء للتجارة والبترو دولار.. ومراكش للمتعة وشرب الحشيش. انظروا إلى مآثر المرابطين والموحدين والأضرحة ما يحدث فيها؟!!

لقد أصبحت جامع الفناء هي العلامة التي تحكى عن مراكش، أليس هذا منجلا، فبدل تبادل التهم في المساجد وإطلاق اللحي أليس من الواجب الوطني (والديني) محاربة هذه المصائب؟ لقد كان المهدي يكسر جرار الخمر في شوارع مراكش وحمل الفطواكي السلاح، ونفي البصري... فماذا فعل القابعون على كراسي البلدية الوثيرة من دعاة الإصلاح والتعادلية، وماذا فعل أصحاب البسط وأقبض من سكان فيلات الداوديات لإنقاذ أهل مراكش الوديعين من التسول والفقر والكفر وهيمنة الإقطاع الوارد من المكاتب المكيفة بدار البيضاء التي تتلقى الأوامر من العواصم الاستعمارية؟

إن من يقرأ ما تكتبون يشعر وكأنكم لم تنسوا مهنتكم، فأسلوبكم تربوي، تكثرون النصح وتخلصون أنفسكم للإرشاد، مرحي! لكن هل تعلمون أن التربية لها تخطيط وبرمجة وأهداف مدققة، وهذه الأهداف عندما لا تكون عملية واقعية تصبح مجرد أدب وشعر وكلام جميل يلقي في الفضاء يصدق عليه قول المصري: (الرحى تطحن قرونا).

اسمحوا لي فقد قلت ما أشعر به وما أؤمن به، يكفي أن نلتقي في صدق الكلمة والبحث عن الحقيقة بلا شتيمة ولا سباب. والسلام عليكم..

- لتجاوز حكمك على شخصي وتقييمك لتاريخي وأنت المؤرخ.

مرحبا ما دمت تعلن انتفاءك للإسلام ولو لهذا الإسلام الأسمى الوراثةي.
وعن أمثالك نبحت لنعرض عليهم أمرا واحدا، اقتراحا واحدا، هو أن
تخصصوا من وقتكم دقائق معدودة متفرقة كل يوم لتفكروا في.. الموت. لكم
عقول مليئة وربما منظمة في منهجية ما حسب اختصاصكم. ندعوكم لدقائق
شجاعة تواجهون فيها سؤال المصير بعد الموت. وستجدون الجواب في كتاب
الله، نقترح عليكم أن تقرأوه بهمّ وحزن إن كان تفكيركم فيما ترون من عجائب
اكتشفها العلم وتدرکها حواسنا المبلغة للعقل أداكم للعجز والحيرة والهمة ولم
يؤدکم لقبول التفسير العبثي والمادي.

ثم إن حكمك على المرابطين والآخرين بأنهم فقهاء، وبأنهم احتالوا باسم
الدين، حكم تنقصه الموضوعية، فهم كانوا صوفية أولا ولست أدري هل
الأعمال التاريخية كلها والصراع على السلطة ومحاربة الأنظمة باسم مبادئ
سليمة تستحق أن ينعت منطقتها بما تسمونه أنتم المثقفين إيديولوجية أي منطلقا
مبررا. وعلى أي فنحن نقول: سنة الله لا سنة التاريخ، ولعل خلافنا، نرجو
ذلك، لفظي. فما دمت مسلما فالتاريخ إنما هو وهم ميثي.

أما علاقة الإسلام بالمغرب فنظن أنها واضحة كل الوضوح. تقول أن
المسلمين دخلوا الإسلام بالقوة. ولو قرأت التاريخ الإسلامي في كتب غير
كتب المستشرقين لرأيت أن المسلمين عندما حاربوا الفرس والروم إنما كانوا
محررين وكان الشعب يستقبلهم كذلك. ولرأيت أن محمدا صلى الله عليه
وسلم علم أصحابه أن الإسلام «حرية» حتى قال ربعي بن عامر في مجلس
رستم «الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله،
ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

فأنت ترى أن عهد الصحابة والتابعين الفاتحين كان يحافظ على

المبادئ القرآنية في العدل ونصرة الشعوب المستضعفة ومحاربة الاستعباد، كان الإسلام إذن حركة ثورية محررة تقدمية. هذا بعدها الاجتماعي، أما بعدها من حيث كرامة الإنسان ومعنى وجوده فابحث عنه بعدد دقائق التفكير الحزين المهوم.

التدهور التاريخي أمر بديهي والمسلمون ما كانوا استثناء بل تنافسوا الدنيا، وتكونت الطبقة وتسلسل الأمر إلى فساد الحكم وانحلال عرى النظام العضوي والأخوي للمجتمع الأول. هذا لا غبار عليه، لكن من الحيف أن ترمي العلماء بأنهم كانوا دائما إلى جانب الحكم الفردي، إلى جانب القوة. وبها أنك مؤرخ فنشير عليك بقراءة كتاب عنوانه: «الإسلام بين العلماء والحكام» لعبد العزيز البدري، فيه نبذة من تاريخ جهاد العلماء. ثم لا تكن عث أوراق، افتح عينيك واقراء التاريخ المعاصر الذي يصنعه المؤمنون. ولست أدري أترفض أن ندلي أمام محكمة التاريخ بوثائق الخميني وأمثاله لعلة شكلية أم تربصا تضامنيا مع الذين لا يعجبهم أن ينتصر الإسلام، ولا يجبون أن يعترفوا له بمزية واحدة في تاريخه!

نحن متفقون معك تماما على أن النموذج النبوي نموذج مثالي صالح للاسترشاد، والإسلام الذي ندعو إليه مثال نصبو إليه ونحن على أرض واقع ذليل مهزوم.

ومن هذا الاتفاق نطلق لنؤكد لك أن ما حسبته تكفيرا للأحزاب الوطنية ماهو إلا تنفير بليغ بمفهومنا القرآني لواقع لا نرضاه ولا يرضاه حر، وما «نجح» الناصرية إلا لأنها ذبحت المسلمين. ثم إن دعوتنا لحل إسلامي غير عنيف لا يعني أبدا أننا خرافيون أخلاقيون حاملون كما يحلو لبعض المثقفين أن يتصوروا المسلمين. أكان قط حركة أسرع وأمضى قوة وأبلغ تأثيرا في التاريخ من حركة الإسلام في عهد الرسول وخلفائه، بل حتى عهد

صدر من الإمبراطورية الإسلامية؟ ونحن لا ندعو للتصالح الطبقي غفلة منا عن قانون الصراع، بل رسماً لخطة تخرجنا من مدار الأسلوب الشيوعي المرتكز على دكتاتورية الطبقة المخلصة التي تصفي الخصوم الطبقيين بالعنف الثوري.

نعم لا بد في كل تغيير من «ألم وضحايا وتدابير»، لا بد من دم وعرق وجهاد، لا نحتاج إعادة قراءة التاريخ لفهم بقدر ما نحتاج إلى ربط التاريخ والواقع الحاضر المستقبل المنشود بتعاليم القرآن، بمطلق يعطي معنى واتجاهها وترابطاً نسبياً لفكرنا وأعمالنا. الله يقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (سورة البقرة: 251)، إذن فلا بد من «ألم وضحايا وتدابير»، ولا تحسبن الإسلام أخلاقية مترهلة. وقرأ معنا التاريخ المعاصر لأفغانستان وإيران، لم لا تحب أن تنظر في التاريخ الحي والمطلق القرآني وتحيلنا على الوثائق المغبرة؟ ما هذا إنصاف.

ولعلك أوشكت أن تفهم من عنوان مجلتنا ومضمونها الذي نأمل أن يقرأه أمثالك من أهل المروءات قراءة تمعن أن للإسلاميين رسالة اجتماعية سياسية تغييرية تاريخية لا تهرب من الواقع عندما تعلم الأخلاق وتصفية النفس ونشدان الكمال الروحي، بل تعتمد على هذه القيم لتهيئ الجو النفسي والسياسي الملائم للتغيير الجذري كما يليق بأصحاب الرسالات. وما كانت هذه الأمة قبل أن تطيح بها الفتنة في الدركات إلا أمة ذات رسالة.

ويتباعد جدا خط الفهم بيننا عندما تدعى لنفسك التسامح وسعة الأفق وترميننا بالترتم والشتم والتنقيص لكل من لا يشطح في الزوايا. ننفخ في زعمك في شخص عمر بن الخطاب، وكأنك بعبارتك لا تدرك أن الوجود التاريخي للأمة، أية أمة، وأصالتها مرتبط بأمجادها، وأن واجب المسلمين أن يذكروا أجيالهم بعظائمهم وأن يزرعوا فيهم الاعتزاز بتاريخهم

محور تاريخ العالم في وعي المسلم هو تاريخ الهداية الإلهية وهي تشق طريقها عبر خضم التاريخ البشري العام، وعمر بن الخطاب نموذج قوي دون مقام الرسالة، لك الحق أن تقيسه بمقياس المستشرقين وواجبنا أن نعلمه لأجيالنا على حقيقته التي شهد بها معاصروه وإنجازاته وقوة إيمانه وعدله.

ها أنت يا أخي ينم مثالك عن الزحلقة الأساسية في وعي المثقفين المستغربين الذين ينظرون إلى التاريخ وإلى التاريخ من زاوية الفكر الغربي والتقييم الغربي ومنظومة المراجع الغربية، التاريخ الحضاري لكل أمة ذات حضارة إنما يكون تاريخا وحضاريا إذا كان لهذه الأمة عقيدة وغاية في الحياة، ونظام في الحكمة ووسائل تسخرها لتلك الغاية بذلك النظام، وعندئذ فكل الظروف الزمنية والتبادلات مع لمجتمعات الأخرى والحضارات ملاسبات هامشية. الحضارة البونيقية والزنجية وحضارات البحر الأبيض المتوسط تربة تاريخية تغذى منها المسلمون واستفادوا لأنه كان لهم شخصية وكان لهم ذاتية متميزة. والإنسان حين يكون مغربيا فقط فإن له أن ينتمي إلى من يشاء، أما إن كان وعيه يتجاوز القومية والتقييم القومي لنفسه وللعالم، أما إن كان مسلما وحامل رسالة فإنه في موقف الرفض الكامل «للحضارة» المملقة والشخصية الخليط. زعماء مغاربة تقديمون لا يصحون من السكر ويجمعون الأموال ويكذبون طبيعة، قلم هذا سب وشتم وحياة شخصية، لكن ثبت بالوثائق أنهم في المؤتمر الاشتراكي العالمي الأخير جلسوا جلسات سرية خاصة بالإضافة للجلسات الرسمية مع زعماء الصهاينة، هؤلاء بونيقيون زنجيون متوسطون وبمقتضى ذلك كله فهم متحضرون إخوة لزعماء «الحضارة» الصهيونية المحتلة لبلاد المسلمين.

وبها أنك ذكرت الإرادة وذكرت اهتزاز المجتمع المغربي وتفسخه

فاسمح لنا أن ننبهك إلى أن ظاهرة النهضة الإسلامية التي ترفض أن تنظر إليها في إيران تعبير عن إرادة وعزيمة قوية يستجيب لها الشعب من أعماقه، وليست مجرد نقاش أكاديمي. لذا فنحن نعتقد مثلك أن الإسلام ليس مسحوقا سحريا يقلب الدنيا رأسا على عقب، لذا، فنحن نعبر عن إرادة ونقف موقفا ونحارب استعمال الدين لتخدير الشعب وتبرير الظلم. حتى إذا قلت أن «من الصعب جدا، بل من الخطورة التركيز على الدين وحده» وضعت أصبعنا على موطن الخلل في حوارنا ومنبع سوء التفاهم. ذلك أن مفهوم الدين ترسخ في سلم حكمتك كما يفهم الغربيون الدين، «رليجيون» أي علاقة كهنوتية كنسية تعطي بمقتضاها المجتمعات والأفراد ما لقيصر لقيصر وما لله لله حسب الشعار الذي صنعه من لعبوا بدين المسيح ونسبوه لرسول من رسل الله.

لا، إن الإسلام ليس رليجيونا، إنما يستعير بعض المثقفين منظار العقلانية ينظرون به ويحكمون بتلك النظرة. وهو منظار مرصود ليعدي من يستعمله بعمى الألوان المفضي لعمى العقل، المفضي للتحكم الذاتي البعيد عن الموضوعية.

اقرأ معنا كتاب الخميني ملخصا في هذه المجلة لترى هل الإسلام دروشة ورليجون. فقد أحسن الدين وأجاد وتفوق في الإحابة عن الأسئلة التي تطرحها الأزمات التاريخية، كان ذلك في عهد الرسل أولي العزم، وكان على يد المجاهدين من أمثال ابن تاشفين وصلاح الدين والخميني.

ولا يكن حكمتك على الإسلام كحكمتك على اليهودية العرقية والبهائية والقاديانية، تلك أديان مصنوعة والإسلام... سبحان الله؟ أنت مؤرخ حقا؟

نعم العصر تجاوز مركس وماو وقرناءهم. يدلنا اعترافك بذلك أنك في رأس المفكرين لا ذنبا متخلفا، وأخشى أن يكون من ذكرتهم من مغاربة وأمريكيين، أخشى أن يكون أبطال الثوير وحروب العصابات ظلالة باهتة ضئيلة أمام مؤمن مجاهد مثل عبد الكريم الخطابي الذي علم ماو وكيفارا وهما معلما من ذكرت.

العصر يطرح أسئلة ضخمة، وكأني بك تتهمنا ضمينا أننا ندعو إلى حضارة الجمل والبادية حين ذكرت السبرنطيقا والتقنولوجيا.

السؤال هكذا «هل يمكننا بالإسلام أم بغيره أن نصنع لأنفسنا شخصية فردية واجتماعية وسياسية قوية تتفاعل مع الواقع القومي والعالمي لتقيم اقتصادا قويا بالاستيلاء على التكنولوجيا وسائر مقومات الحياة العصرية»؟

إن المنطق الذي يدعو لتذويب شخصيتنا في غيرنا، ويجعل ذلك شرطا في امتلاك التكنولوجيا وبناء الاقتصاد والتحرر من قوى الإمبريالية منطق غير مسوؤل.

نعم الانغلاق على الذات في التسبيح وتعذيب الذات كما تعبر، وشتم المنحرفين، هروب عن الواقع ودروشة نحن نحاربها أشد الحرب، لكن عبادة الله، وذكر الله، وتلاوة القرآن، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وسائر شعائر الإسلام هي المنهاج والإطار التربوي والعمل لخلق الشخصية الإيمانية القوية.

خاطبت الفقهاء الناعسين ذوي الوعي الخامل البليد، لكنك يا أخي اعتبرت الوعظ تخويفا «تقليديا»، نعم هذا الوعظ يكون لعبة ومخدرا حين يبدأ باسم الله وينتهي بالدعوة للخنوع. نعم مات الونشريسي، وامتحن اليوسي، وجاهد ابن تومرت. أما الشيخ الجليل ابن العربي العلوي

رحمه الله وأمثاله من العلماء والمؤمنين المصلين الذين يرجون لقاء الله، فلقد أساءوا اختيار القيادة حين أصبحوا في صف أصحاب اللحي المتنمسين بضاعة في سوق الانتخابات المطبوخة، ورعايا جلساء وحلفاء وإخوة القيادات الصهيونية. هم كالمستجير من الرمضاء بالنار. فهذه أمثلة ناصعة تشوقها أنت لفقهاء العصر، وتدحض بذلك حجتك عندما تعمم.

جغرافية الجوع وحقائق الإحصاء والديموغرافيا والاقتصاد مرتبطة كلها في بلاد المسلمين بالإسلام سلبا وإيجابا. إسلام الواجهة سبب ضالة إنجازاتنا في تلك الميادين الحضارية، وإسلام المجاهدين ضد الاستعمار المكشوف والمخفي كما عبرت هو الأنشودة التي نغنيها للأمة لتكون المعانة الحزبية والنقابية الجماهيرية واعية باللعبة باسم الإسلام، ناهضة غدا بحول الله لتحقق ما يرسمه المجاهدون، فذاك بديل من حلول تلحقنا بمعسكر الشرق أو الغرب.

نعم لا بد من جيش من الساسة والاقتصاديين والإداريين، وأنه لا ينقص من تجربة الخميني الرائعة بكل مقياس لحد الآن أن يكون استعان بتلك الجيوش. بل هذا عربون عن سمو إدراكه للأمر، وعنوان على أن الفقهاء الذين طالما احتقرهم الأساتذة المثقفون هم وحدهم المتأهلون للقيادة العليا لأنهم من الشعب عقيدة وشعورا، ولو أسكر بعضهم حب الرئاسة الانتهازية، وخدر آخرين أغنيات الإيديولوجيات.

لعلك أخي لم تقرأ بما ينبغي من تمنع ما كتبناه. إننا بعكس ما ظننت، لا نحتكر الإسلام ولا الهداية، ولا نزعم أن المغاربة كلهم كفار. نعوذ بالله، إنه جو معقد فعلا، ومعقد جدا فيما بين الحركة الإسلامية والحركات الحزبية، وما وصفته من تعدد مصنوع، ومن فجاجة «الديمقراطية» في البلاد المتخلفة، ومن تسخير الأبواق بعضها ضد

بعض من شرط «اللعبة» ونحن واعون كل الوعي بذلك. ولسنا جوانيين كما تحسب لكن هذه «الجوانية» شرطنا الذاتي لمقاومة الشروط الموضوعية المتمثلة في تشويه إرادة الشعب. ومن المؤسف جدا أن القوى الوطنية التي ندعو الله عز وجل من صميم قلبنا أن يصلحها تساهم مساهمة فعالة، بوعي منها أو حسن نية أو عن خبث ومكر، في تشويه هذه الإرادة.

ما نحن فرضنا شروط عملنا بل ترى أن الفئات المضطهدة أشد الاضطهاد هي الفئات الأكثر وعيا: الإسلاميون والشيوعيون.

والمواجهات في معارضة كل فئة أو مؤازرتها للحكومة مواجهة مواجهات أشد ما تكون وضوحا في صف المرتزقة من ديدان القراء ومؤازرة عمياء ذليلة مثل عمى وذلة الطبقات المستغلة. ثم معارضة من جانب الإسلاميين المجاهدين والشيوعيين الثائرين.

جهاد وقومة أم نضال وثورة؟ ليس الأمر تنافسا على السلطة لكن الهدف الجهادي والنضالي، الإسلامي والشيوعي إن كان واحدا فمن ورائه غايات مختلفة متعارضة متناقضة.

لذا فهل نصطليح مع الحكومة أو مع الشيوعيين؟ هل نقبل الظلم للإبقاء على إسلام مزيف، أم نحالف الملحدون وحلفاء الصهاينة لمحاربة الحكومة؟ اقرأ عددنا الافتتاحي لتجد الجواب. الحل هو رجوعكم، معشر الأساتذة، لتكتشفوا الإسلام.

ثم ها أنت تتلفت عن الإسلام الذي أعلنته. كان ينبغي أن تقول أن همك بصفتك مثقفا واعيا هو كذا وكذا.

نحن معك تماما في نقدك للواقع المر بمراكش وغيرها بشرط أن تزيد في القائمة، قائمة الويلات، التكفير المصاحب للتخدير. وإن كنت

تأسف لما لحق من هوان بالشعب فنحن نغضب معك، لكننا لا نعيد التاريخ، ولا ننظر إلى الوراثة إلا لنستلهم نموذجا الخلد منهاج بناء المستقبل. وغر كل الغر من يظن أن الإسلام ماضوية وحنين. من الأذان. ما يصيبه صمم مستعص ليسمع صيحات الجهاد في جبال الريف مع عبد الكريم بالأمس، وفي جبال أفغانستان اليوم.

ثم إنك تذكر إهانة الأضرحة، فلعلك تظننا من عباد القبور ترجو أن يستنفرنا استنفارك لتتعصب ضد من يهينون موتانا. كلا، ولسنا من أصحاب السدل والقبض إذا كان هذا يعني الخصام في المساجد، لكن السنة النبوية وإطلاق اللحي سنة من مباحي ديننا. كلا، ولا نحن من سكان الفلات القاعدين، ولك الحق بعد هذا أن تقول ما شئت عن أسلوبنا «المهني» وقصورنا في ميدان التربية، وعجزنا عن التخطيط وفهم الواقع، فالحكم على أشخاصنا لا يضيرنا. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

رسالة

في المنهاج النبوي

قال الله عز وجل في سياق ذكر الرسالات السماوية: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (سورة المائدة: 48).

قال ابن عباس: «شرعة ومنهاجا: سبيلا وسنة». وقال قتادة: «شرعة ومنهاجا: الدين واحد والشرعية مختلفة». وقال محمد بن يزيد: «شرعة معناها ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستقيم».

اللغة تعطي «الشريعة» معاني البدء والسلوك والإظهار، وتعطي «المنهاج» معاني الوضوح فالشرعة والمنهاج طريق واضح مسلوک، المؤمنون مدعوون للسير فيه، وهو المحجة البيضاء التي تركنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ليل يعميها فهي نهر دائم في نفسها، لكن نظرة الناس إليها وفهمهم لحدودها وعزمهم على سلوكها ووسائلهم بالسير عليها عرضة لغيوم الأوهام وظلام الضلالات وغبش البدع وقتامة الكفر.

تبعية بعضنا المنهجية للغرب في أساليب التفكير والتطبيق العملي، وجمود بعضنا على موروث لم يهضم ولم تتمثله ذواتنا الفكرية والنفسية والعملية عائقان فكريان تطبيقيان من أهم العوائق التي تحول بيننا وبين التحرر والانطلاق الحضاري والثقافي والعملي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي.

إننا بحاجة لفهم الإسلام فهما شموليا يجيب عن كل الأسئلة التي وردت وترد في هذا العصر علينا بمنهاج له غاية إحسانية ومبادئ إسلامية ومسار إيماني، والمنهجية الغربية الجاهلية لها غاية مادية ومبادئ بشرية ونفعية ومسار ذرائعي أو إيديولوجي فهي لا تزيدنا حين نطبقها إلا بعدا عن غايتنا ولا تزيد فكرنا إلا طمسا وعملنا إلا ضلالا.

المنهجية بالمفهوم الحديث منظومة مبادئ مرتبة يسير حسبها المفكر والمطبق في ميادين التكنولوجيا والسياسة والاقتصاد، فمنهجية علمية هي مستقلة عن العقيدة والعاطفة، العقل آلتها والتجربة المنتجة محكها. هذه علينا أن نستردها ولاستردادها لا بد من جهاد. أما منهجية الفكر والعمل في الأمر الكلي: أمر الإنسان ومصيره ومعنى وجوده، والمجتمع البشري وصراعاته، ورسالة الأمة الإسلامية في العالم فلا بد لنا فيها من استقلال حتى تصفو نظرتنا للإنسان والمجتمع والعالم، لا بد أن نتحرر من جاذبية الفكر والأسلوب والطرائق الجاهلية تحررا كاملا.

المسلمون اليوم تجاه تحد حضاري لن يخرجوا منه منتصرين مادامت ذاتيتهم الفكرية وإرادتهم ووعيهم لأنفسهم وللعالم صورا منسوخة ومترجمة من فكر غيرهم وإرادته ووعيه، هذا التحدي يريد فهما للإسلام شموليا وتفكيراً منظماً يهيئ عملا ويدلان عليه ويواكبانه للتخطيط والتصحيح والتعديل.

على ظهر غلاف المجلة وضعنا للتأمل خلاصة تفكير طويل طويل، أعرض على القارئ أن يعيد فيه النظر بين الحين والحين. وسنشره بحول الله تباعا. في الأول مبدأ قرآني وختمنا الصفحة بالحديث الشريف بلفظ مسلم، ولفظ البخاري: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان».

فهرست

الموضوع:	صفحة
افتتاحية: الدعوة والدولة.....	3
القومة الإسلامية.....	16
منبر الوعظ.....	56
تجربتي في حقل الدعوة.....	63
شوكة الإسلام.....	68
بريد القراء.....	97
ندي الطلبة.....	105
منبر المؤمنات.....	129
حوار.....	134
رسالة.....	151

